جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة :

المعاملات الإدارية والقانونية لأهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي في الأندلس

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين :

*أسماء بن لعريبي

*أمال ممي

إشراف الدكتور:

حمزة .عبد الصمد

السنة الجامعية: 1441/1440هـ-2019/2018م

مقدمة

مقدمـــــــة

دخل الإسلام إلى بلاد الأندلس بعد أن فتحها المسلمون سنة (92هـ-711م) وصارت بذلك جزء من الدولة الإسلامية، تغير نظام حكمها وأصبحت خاضعة للحكم الإسلامي، وهذه الحركة جعلت المجتمع الأندلسي يزخر بثقافات سكانية مختلفة باختلاف عرقها ونسبها، فمنهم الفئات البشرية التي دخلت الأراضي الأندلسية عن طريق الفتوحات الإسلامية ناهيك عن السكان الأصليين للبلاد، ومن بين هاته المجموعات البشرية اليهود والنصارى وغيريهم ممن هم على ديانتهم، وأصبحوا خاضعين لنظام الحكم الإسلامي، وعرفت هذه الفئة بأهل الذمة، حيث تعامل معهم المسلمون وفق أحكام شرعية خاصة بهم باعتبارهم رعايا يتمتعون بكامل حقوقهم التي أقرها الإسلام في إطار عقد الذمة.

بقي الرعايا على ديانتهم مع حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية في الأماكن المخصصة لذلك، وسمحوا لهم بحرية التنقل وممارسة نشاطاتهم اليومية. باعتبار أن الفئات التي أطلق عليها لقب أهل الذمة هم سكان أصليين لبلاد الأندلس، قد سلكوا جزءا هاما من المجتمع الأندلسي واحتلوا مكانة لائقة في ظل سماحة الدين الإسلامي منذ أن فتح المسلمين بلاد الأندلس، الدافع الذي سمح لهم بالانفتاح على الثقافة الإسلامية، وإقامة علاقات ومعاملات مع المجتمع الإسلامي

طرح الإشكال:

ومن هنا كان لا بد من تسليط الضوء على هذه الفئة من حيث المعاملات والاحتكاكات مع المجتمع الإسلامي انطلاقا من هذه الفكرة يمكننا طرح الإشكالية التالية:

كيف كانت المعاملات الإدارية والقانونية لأهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ؟؟

ويندرج تحتها تساؤلات عديدة مفادها:

- من هم أهل الذمة الذين عاشوا في الأندلس؟ وما هي أماكن تواجدهم؟
- كيف كانت علاقتهم بالمسلمين بالأندلس ؟
- كيف كانت معاملتهم إداريا؟ وما هي المناصب الإدارية أو السياسية التي تولوها؟
- ما مدى التزامهم كرعايا بالعيش تحت لواء الإسلام والاحتكام إلى قوانينه؟

النهج المتبع :

قد اتبعنا المنهج التاريخي(الذي يتضمن منهجين، وصفي وتحليلي) في هذه الدراسة حيث قمنا بتحليل المعلومات وتمحيصها للخروج بنتائج صحيحة حول الموضوع، وكذلك بغية الخروج بملاحظات عن حياة النصارى واليهود (أهل الذمة) بالأندلس وكيف عاشوا في ظل الإسلام.

خطة البحث:

وحتى تحقق الدراسة أهدافها قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث، وخاتمة ، فالمقدمة تطرقنا فيها إلى تمهيد حول الموضوع وطرح الاشكالية و دواعي اختيار الموضوع وأهمية الدراسة ، وتناولنا في المبحث التمهيدي جغرافية بلاد الأندلس وأصل التسمية وكذلك الفتح الإسلامي على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير، وتطرقنا كذلك إلى مكونات المجتمع الأندلسي حيث ذكرنا الفئات السكانية من سكان أصليين والسكان الذين جاءوا بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.

المبحث الأول كان بعنوان أهل الذمة بالأندلس حيث تضمن أربعة عناصر، العنصر الأول بعنوان مفهوم أهل الذمة في اللغة والاصطلاح، والعنصر الثاني بعنوان أصناف أهل الذمة، حيث قمنا بشرح ما يضمنه هذا المصطلح من فئات، أما العنصر الثالث فكان بعنوان موقف الشريعة الإسلامية من أهل الذمة، حيث بين لنا كيف كان تعاملهم معهم، والعنصر الرابع كان بعنوان أماكن تواجد أهل الذمة بالأندلس وأماكن استقرارهم.

أما **المبحث الثاني** فكان بعنوان المعاملات الإدارية للنصارى واليهود، وقد تضمن ثلاثة عناصر، فالأول كان بعنوان التنظيمات الإدارية، والثاني بعنوان الوظائف السياسية، أما العنصر الثالث فكان بعنوان المهام الدبلوماسية.

المبحث الثالث كان تحت عنوان المعاملات القانونية لأهل الذمة، وقد تضمن عنصرين، الأول كان بعنوان القضاء عند أهل الذمة، و العنصر الثاني أحباس أهل الذمة.

وخاتمة تضمنت استنتاجات حول الدراسة.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في أن الدراسات السابقة لم تتضمن هذا الموضوع على وجه الخصوص بل تناولت أهل الذمة في المغرب، وتناولتها على أوجه مختلفة في الأندلس من الجانب الاقتصادي وكذا التجاري وكذلك معاملات مختلفة. وكذلك تكمن أهمية هذه الدراسة في:

- ❖ تسليط الضوء على سماحة الإسلام ونظرته للمخالفين في الدين.
- ❖ إظهار دور الإسلام في الحوار مع المخالفين ودعوتهم بالتي هي أحسن.
- ❖ التأكيد على الاختلاط والتعايش الذي عرفه أتبع الأديان في الأندلس.

الدراسات السابقة :

أما بالنسبة للدراسات السابقة، فكما ذكرنا سابقا درس من جوانب مختلفة تختلف تماما عن جانب دراستنا.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية والمراجع الحديثة فقد استفدنا منها ووجدنا فيها معلومات تتفاوت في درجة أهميها بالنسبة لموضوع الدراسة، وفيما أتي تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة.

أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة:

أولا: المصادر:

1 البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (كان على قيد الحياة في (712-1312م)) وهو عبارة عن تاريخ عام للأندلس والمغرب من الفتح الإسلامي إلى عصر المؤلف، واتبع فيه مزيج من تسلسل الأحداث على أساس السنين.

2كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، هو شهاب الدين أبو عبد الله (751هـ-1350م) وقد تضمن كتابه معلومات ذات طبيعة فقهية تتعلق في مجملها بأحكام أهل الذمة وإقامتهم داخل حدود الدولة الإسلامية، بالإضافة لحقوقهم وواجباتهم اتجاه المجتمع الإسلامي.

3بيتوتات فاس الكبرى لمؤلفه ابن الأحمر (ت807هـ-1350م)، وتضمن الكتاب معلومات هامة عن اليهود في الأندلس وأحوالهم قبل الفتح وبعده ومعاملة المسلمين لهم.

4المعيار المعرب والجامع المغرب عند فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ-1508م) حيث يعد هذا الكتاب موسوعة علمية حية للفقه المالكي، إذ يحوي العديد من القضايا والنوازل الفقهية، حول أهل الذمة .

5نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب لشهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني (ت1041هـ-1631م) هو من المصادر المهمة حيث أفادنا في سرد معلومات مهمة عن أخبار اليهود في الأندلس.

أما المراجع الحديثة:

1. حسين مؤسس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ويعد من الدراسات الهامة عن تاريخ الأندلس لما يحتويه من معلومات قيمة وشاملة وقد أفاد الدراسة في الحديث عن الفتح الإسلامي.
2. يهود الأندلس والمغرب لحايمي الزعفراني، أفاد الدراسة بمعلومات وافية عن يهود الاندلس

3. مُحَمَّد عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس، هو مرجع هام يحتوي على معلومات قيمة أفادتنا الدراسة كثيرا.

الصعوبات

وككل الدراسات السابقة، لا يمكن أن تكمن دراسة دون جهد أو تعب أو معيقات وصعوبات، ومن أهم الصعوبات التي واجهتها نقص المادة العلمية، خاصة في مجال المعاملات، حيث لا تتوفر المكتبات على معاملات حية يمكن دراستها، وبالرغم من ذلك، واجهنا الصعاب لإتمام هذا العمل.

والله نسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

المبحث التمهيدي:

الأندلس في ظل الحكم الإسلامي

جغرافية بلاد الأندلس:

يطلق اسم الأندلس على المنطقة الواقعة شمال المغرب[1] وهي شبه مثلث تحيط بها المياه من الجهات الثلاث فمن الجنوب يحدها البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب بحر الظلمات ومن الشمال بحر الشمال وهي بلاد واسعة وشاسعة وسميت جزيرة لإحاطتها بالبحر من الاتجاهات الثلاث، يقول عنها الإدريسي أنها موقع قريب من بلاد المغرب فهي تشكل امتداد طبيعي له لذل تؤثر وتتأثر بما يجري فيه، وهي في ذاتها تشكل مثلث يحيط به البحر من جهاتها الثلاث ومقسومة في وسطها في الطول بجبل يسمى الشارات[2] أما عند حدودها فيقول المراكشي أن حدها الجنوبي منتهى الخليج الرومي الخارج من بحر مانطس وهو البحر الرومي، وحدها الشمالي والمغربي البحر الأعظم وهو بحر اوقيانوس المعروف عندنا ببحر الظلمة وحدها المشرقي الجبل الذي فيه هيكل الزهرة الواصل بين البحرين بحر الروم والبحر الأعظم وهو الحد مابين بلاد الأندلس وبين بلاد فرنسا وأرض الروم[3] أما التسمية فلا تقل أهمية عن الحدود الجغرافية وسبب تسميته فقد اختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من قال أنها سميت على الأندلس بن طوبال بن يافت بن نوح الذي نزلها، كما نزل أخوه الملقب بسبت العدوة المقابلة إليه (سبتة)، ويذكر القلقشندي أنها سميت بالأندلس نسبة إلى قبائل الوندال (الفندال) الذين نزلوا بالسهل الواقع جنوب النهر الكبير فأطلقوا اسمهم عليه (قاندلوسيا)[4] ولما قدم العرب عربوا هذا الاسم إلى الأندلس، ولعل هذا القول هو الأقرب إلى الصحة وبعد تقلص مناطق النفوذ الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية اقتصر لفظ الأندلس على المناطق التي ساد فيها الإسلام ولما تراجع النفوذ الإسلامي بها اقتصر الاسم على غرناطة.

---

[1] شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي معجم البلدان، ج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957، ص161.

[2] مُحَمَّد بن مُحَمَّد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، ج2، عالم الكتب، بيروت 1989، ص 525

[3] عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 13-14.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ج5، ط1، القاهرة 1915، ص211.

الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس:

كانت بالأوضاع العامة في اسبانيا سيئة، فالضرائب عفي منها الأغنياء وفرضت على الفقراء[1]، كما أن المجتمع الاسباني نفسه كان غير متماسك، وينعدم التجانس بين طبقاته بالإضافة إلى انه كان يعاني من الفوضى والاضطرابات والفساد الاجتماعي، فكان هناك طبقات اجتماعية متعددة متنافسة متناحرة فيما بينها[2]، تذكر بعض المصادر التاريخية انه كان على مدينة سبته المغربية حاكم يدعى يوليان، كانت له ابنة تدعى فلورندا، كانت على قدر كبير من الجمال[3]وقد أرسلها إلى القصر الملكي في مدينة طليطلة، حتى تتأدب بآداب الملوك، وتتعلم طقوسهم ومراسمهم، أعجب بها لذريق فقام باغتصابها مدنسا شرفها[4] فأخبرت والدها فأغضبه ذلك، وصمم على الانتقام من لذريق عن طريق الاستعانة بالمسلمين في افريقية، وتمهيد الطريق أمامهم وحثهم على دخول اسبانيا

كان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86هـ_96هـ-705م_714م) قد ولى موسى بن نصير (ت 97هـ_715م) على افريقية سنة (87هـ_697م)[5]، واستطاع موسى بن النصير في سنوات معدودة أن يتم فتح بلاد المغرب العربي، وعين على مدينة طنجة القائد طارق بن زياد (ت 102هـ_720م)[6] وبينما كانت الموازين والأحوال تضطرب في اسبانيا يعد استيلاء لذريق وحزبه على على العرش اتصل غيطشه بحاكم سبته يوليان، وطلب منه أن يتصل بالعرب في افريقية ويطلب منهم دخول اسبانيا، فاتصل بطارق بن زياد وأخبره عن ضعف اسبانيا ورغبته في غزوها وتعهد له بتوفير السفن وكل ما يحتاج إليه المسلمون

لم يستطع طارق بن زياد التصرف من تلقاء نفسه، فقرر الاتصال بقائده موسى بن نصير وإعلامه بنتائج اللقاء مع يوليان فرحب بذلك، إلا انه لم يستطع المجازفة من تلقاء نفسه، فأرسل

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1988، ص61.

[2] مؤسس حسين، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1405هـ-1995م، ص25.

[3] عبد العزيز سالم، مرجع سابق ، ص61.

[4]مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ولحرب الواقعة بها، تحقيق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 5.

[5]نفسه، ص3.

[6] الإدريسي، مصدر سابق، ص 529.

للخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ_96هـ/705م_714م) سيستشيره في هذا الموضوع[1]، وقد تردد الوليد بالموافقة على المشروع، لأنه خاف على المسلمين من المخاطرة في أرض غريبة عليهم فطلب من موسى أن يختبرها بالسرايا[2]، وأرسل احد مواليه ويدعى طريف بن مالك المعافري[3] ، ويكنى أبا زرعة في سرية صغيرة حتى يعبر بهم ويختبر صدق يوليان وركب هو وجماعته أربعة مراكب ونزل على جزيرة صغيرة تقع على الشاطئ الاسباني وكان ذلك عام (91هـ_709م) وعادت سرية طريف محملة بالغنائم، مما شجع على دخول اسبانيا[4]، لان النتائج التي حققها السرية كانت مطمئنة ومشجعة إلى حد بعيد، بعد هذه الغارات الاستطلاعية والاستكشافية قرر موسى بن النصير أن يرسل حملة بأكبر عدد وقوة وتنظيم من حملة طريف وكانت هذه الحملة بقيادة طارق بن زياد[5].

جهز موسى بن النصير قائده طارق بن زياد في سنة (92هـ_711م) للقيام بحملة عسكرية على اسبانيا[(6)]، بلغ عدد هؤلاء سبعة آلاف رجل، كان معظمهم من البربر والموالي، وأقلهم من العرب[7] وأرسل معه يوليان وأتباعه ليدله على عورات وثغرات البلاد وقدم يوليان للمسلمين أربعة مراكب لدخول الأندلس، لكنها لم تكن كافية لإدخال القوات الإسلامية دفعة واحدة، وهذا ما جعلهم ينتقلون عن طريق دفعات إلى الشاطئ الاسباني.

نزل طارق بن زياد على الشاطئ الاسباني في شهر (رجب 92هـ_711م) وتجمع أصحابه على الجبل الذي يعرف الآن باسم جبل طارق لنزوله عليه[8]كما عرف الجبل أيضا بجبل الفتح، ولقي طارق بعض المقاومة على الجبل لأنه وجد القوط متحصنين فيه إلا انه هزمهم وغنم أموالهم، واستولى على جزيرة صغيرة تسمى الجزيرة الخضراء، وهي أول مدينة يتم افتتاحها، استكمل طارق بن زياد

---

[1] ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين، الكامل في التاريخ، ب.ط، لبنان، دار صادر، 1979، ج4، ص561.

[2] مجهول مصدر سابق. ص60

[3] ابن خلدون عبد الرحمان بن مُحَمَّد، تاريخ ابن خلدون،المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر مراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج4، ص117.

[4] ابن الأثير ، مصدر سابق ،ص117.

[5] ابن خلدون عبد الرحمان ، ج1، مصدر سابق، ص56.

[6] مجهول ، مصدر سابق، ص6.

[7] نفسه، ص6.

[8] ابن الأثير، مصدر سابق، ص561.

استعداده وتحصيناته في الوقت الذي كان به ملك القوط مشغولا بإخماد الثورة العسكرية التي قام بها سكان مدينة بنبلونة[1]، وحينما علم الملك القوطي بأنباء حول دخول المسلمين إلى اسبانيا بعث إليهم عدة جيوش وقد هزمت كل تلك الجيوش من قبل المسلمين فترك لذريق إخماد الثورات واستعد لمواجهة طارق بن زياد، فجمع له جيشا كبيرا، قيل أن عدده كان قرابة الأربعين ألفا[2].

علم طارق بن زياد بهذه الحشودات، فأرسل كتابا إلى موسى بن نصير يستجده فيه فارسل له خمسة آلاف من المسلمين انضموا فور وصولهم إلى جيشه، فرتبهم وحثهم على الجهاد، وقد اختلفت المصادر في تحديد موقع المعركة التي حدثت بين المسلمين والقوط الغربيين فقيل أنها حدثت في وادي لكة، ويمكن القول أن موقع المعركة غير محدد تماما، وان المعركة قد تشعبت في عدة مناطق، وقد اقتتل المسلمون والقوط في هذه المعركة اقتتالا شديدا، حيث انتصر المسلمون[3].

تعتبر معركة وادي لكة من أهم المعارك في التاريخ الإسلامي، فقد كان من نتائجها القضاء على دولة القوط الغربيين.

وقد وجد طارق بن زياد أبواب اسبانيا قد فتحت أمامه فلا معنى أن يتركها ويعود أدراجه فقرر الاستمرار في الفتح ففتح مدينة استجة[4].

وبعد فتحها أرسل طارق مغيثا الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة ففتحها[5]، وبعث جيشا آخر إلى مدينة مالقة ففتحها هي الأخرى، وتابع طارق وجنوده فتوحاته حتى دخل مدينة طليطلة عاصمة القوط وغنم بها غنائم كثيرة[6] ووصله في هذه الاثناء كتاب من القائد الأعلى موسى

---

[1] مجهول ، مصدر سابق، ص60.

[2] ابن خلدون، ج4، مصدر سابق، ص117.

[3] المجهول ، مصدر سابق، ص9.

[4] ابن عذارى المراكشي، أبو العباس أحمد بن مُحَّد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص 8-9.

[5] الإدريسي، مصدر سابق، ص578.

[6] ابن الأثير، مصدر سابق، ص564.

بن نصير يطلب فيه منه أن يتوقف عن الفتح وينتظره في المكان الذي يصله فيه هذا الكتاب وكان ذلك سنة (93هـ_711م)[1] .

اختلف المؤرخون في تعليل البواعث والأسباب التي شجعت موسى بن نصير إلى دخول اسبانيا والطلب من طارق بن زياد ألا يتابع الفتح حتى يصل إليه، ويتضح هنا أن موسى بن نصير انه خاف على جيوش المسلمين من التوغل بعيدا داخل اسبانيا، وهذا يتوافق مع طبيعته الحذرة.

الفئات السكانية لبلاد الأندلس:

يتكون المجتمع الأندلسي من عناصر مختلفة تنوعت أصولها البشرية وعقائدها وثقافاتها، فقد كان فيها أهل البلاد الأصليين وفيه الوافدون الجدد من عرب وبربر وموالي وصقالبة.

وأهل البلاد فهم الذين أطلق عليهم عجم الأندلس[2] وكان أغلبهم من الإسبان الذين دخلوا الإسلام فسموا المسالمة، ومن الذين بقوا على ديانتهم من الاسبان والرومان والقوط واليهود وأصبحوا أهل ذمة.

والمجموعات السكانية التي وفدت إلى الأندلس إبان الفتح فمنهم العرب القادمون من المشرق ومنهم البربر الذين قدموا من المغرب، وكان هؤلاء يمثلون الجيش الفاتح للبلاد بقيادة طارق بن زياد[3].

لم يتسع الحيز الزمني برهة حتى اختلط هؤلاء الفاتحين بأهل البلاد الأصليين وتزوجوا منهم وكان من نتائج ذلك الاختلاط ظهور عنصر المولدين، أما الصقالبة فكان يؤتى بهم من أماكن شتى، حيث يجلبهم تجار اليهود ويبيعونهم في الأندلس[4].

يمكن تقسيم الفئات السكانية لبلاد الأندلس إلى مجموعتين هما: المسلمون وغير المسلمون(اليهود والنصارى)، فالنسبة للمسلمين يجب التمييز بين جماعة المسلمين الجدد أي الاسبان

---

[1] مجهول مصدر سابق، ص179.

[2] مؤنس حسين ، مرجع سابق، ص425.

[3] مجهول،مصدر سابق، ص95.

[4] ابن حوقل أبو القاسم مُحَمَّد بن علي، صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، د.ت، ص106.

الذين اعتنقوا الإسلام بعد الفتح نتيجة لتحولهم عن دينهم القديم على تفاوتهم في المبادرة إلى ذلك والعناصر التي تنتمي إلى أجناس أخرى

وقد أورد ابن الأحمر تقسيما لسكان الأندلس على الشكل التالي:

ـ بنو هاشم وهم الذين وفدو من الحجار واليمن والعراق والشام ومصر وبرقة وافريقية والمغرب الأقصى، ويمثل هؤلاء أشراف قريش وأولوا الأمر فيهم.

ـ سادات العرب ومواليهم، وقد دخلوا إليها من البلاد السابقة وهم يمثلون السند الأساسي للأشراف لما يتمتعون به من خبرة وسياسة في مواطنهم الأصلية.

ـ البربر وقدموا الى الأندلس من افريقية والمغرب وقد شكلوا ظهيرا للعرب عند مجيئهم فاتحين أول الأمر ثم ما إن لبثوا أن تأقلموا مع الأوضاع لتشابه الأرض والمناخ مع مناطقهم الأصلية.

ـ أما السكان الأصليين فقد قسمهم إلى نصارى ويهود[1] ، على الرغم من بقاء هذا التقسيم قائما لفترة طويلة إلا انه لم يشكل عقبة أمام اختلاط وتمازج الثقافات المختلفة ببعضهم البعض، يمكن القول أن موضوع الفئات السكانية لبلاد الأندلس تناوله باحثون مختلفون بطرق مختلفة ومن خلال هاته الدراسات يمكن تصنيفها على النحو التالي:

1_العرب: يعتبر العرب أهم عناصر سكان الأندلس وابرز عناصر المجتمع والقيادة، ويرجع العرب في نسبهم إلى عدنان وقحطان وقضاعة، استقر العرب بصفة عامة في مدن الأندلس التي تميزت بسهولها الخصبة وتوزعت قبائل العرب في مناطق شتى وبسبب تجذر العصبية بينها تم تفريقها في أراضي مختلفة، فقد أشار ابن الخطيب[2] إلى انه وزعت تلك القبائل بكور الأندلس المتشابهة لأراضيهم التي قدموا منها، وأشار ابن الأحمر أيضا إلى أن غالبية العرب استقروا بالحواضر[3] وان دل هذا على شيئا إنما يدل على أن العرب كانوا أصحاب عمران وحضارة طبعها الاستقرار.

---

[1] ابن الأحمر اسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للوراقة والنشر، الرباط 1972، ص23.

[2] ابن الخطيب لسان الدين بن مُحَمَّد السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، تقديم يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص201.

[3] ابن الأحمر ، مصدر سابق، ص25.

2_البربر: اختلف المؤرخون في تقفي نسب البربر وأصولهم، يقول ابن حزم: "أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طوائف منهم إلى اليمن وبعضهم إلى بر بن قيس غيلان وهذا باطل لا شك فيه"[1].

وفي ذات السياق حاول ابن خلدون نسبتهم إلى أمم قديمة حيث يقول:" اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا، وبحثوا فيه طويلا فقال بعضهم انه من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه، وقال آخرون أن البربر يمنيون"[2]، ويعتبر البربر من أقدم العناصر التي دخلت الأندلس، ويعود الفضل إليهم في فتح الأندلس فقد خاضوا المعركة الأساسية مع القوط سنة(92هـ_711م)، وبلغ عدد الذين صحبوا طارق بن زياد حوالي 12الف[3].

يمكن القول أن بربر الأندلس تكونوا من أربع مجموعات وهذا نتيجة امتزاج تاريخي، وكان أول هاته المجموعات التي دخلت الأندلس منذ الفتح الإسلامي وانصهرت مع باقي الشرائح الاجتماعية، أما الثانية فهي التي جلبها المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش، بينما تمثلت المجموعة الثالثة في صنهاجة اللثام الذين تم استدعائهم لردع الخطر النصراني فانزلوا قبائلهم في المدن والتغور، ويضاف إلى هذه الفئات الثلاث فئة رابعة تألفت من بربر العدوة الذين تدفقوا على الأندلس خلال الحقبة المرابطية[4]، مما زاد في أعدادهم حتى أصبحوا يضاهون العنصر العربي.

3_النصارى: هي طائفة من سكان الأندلس الأصليين ظلت محافظة على دينها المسيحي على الرغم من اندماجها في الحياة الإسلامية الجديدة، وقد أطلق عليها عدة تسميات لكن هذا الاسم ظل الأكثر استخداما ومفرده "نصراني" حيث ورد في القران الكريم: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[5].

---

[1] ابن حزم أبو مُحَّد بن علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أسباب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982، ص495.

[2] ابن خلدون ، مصدر سابق ،ص120.

[3] مجهول ، مصدر سابق، ص98.

[4] القادري بوتشيش ابراهيم، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1988، ص35.

[5] سورة آل عمران، الآية 66.

عاش النصارى إلى جوار المسلمين حيث تمتعوا بحقوقهم كاملة مما كان له الأثر الكبير في انفتاحهم على الثقافة والتقاليد العربية، حيث تعربت أعداد كبيرة منهم وبسبب ذلك أطلق عليهم مصطلح مستعربين وهو مصطلح يطلق على أولئك الذين احتفظوا بديانتهم النصرانية وان ظلوا رعايا للدولة الإسلامية وقد تأثر هؤلاء النصارى بأوضاع من عايشوا من المسلمين فاصطنعوا اللغة العربية وأصبحوا ينتمون إلى عالم الحضارة العربية الإسلامية[1].

4_اليهود: لقد عرف اليهود عبر العصور بأكثر من تسمية وتسمية اليهود تعبر على دلالة دينية اذ تطلق على كل من يعتنق الديانة اليهودية، ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها، ولذلك تنسب كلمة يهودي إلى اليهودية.

تفتقر المصادر الإسلامية إلى المعلومات الدقيقة عن استقرار اليهود في اسبانيا قبل الفتح الإسلامي لها، فقد أهملتهم معظم كتب التاريخ والتراجم لأسباب مجهولة، وليس من المعروف متى وصل اليهود إلى أرض الأندلس، فقد عرف عنهم بأنهم كانوا متجولين، حيث اتسمت حياتهم بالتنقل البدوي من بلد لآخر والبقاء على حواف المدن أو على طرق التجارة، عاش اليهود في اسبانيا بين مجموعات سكانية نتيجة اختلاط شعوب مختلفة الأصل والثقافة، جاءوا إليها من اجل الاستقرار لخصوبة أراضيها واعتدال مناخها وكثرة ثرواتها ومعادنها[2].

شكل اليهود طبقة قليلة من حيث العدد، وكانوا يسيطرون في اسبانيا القوطية على الجانب الاقتصادي، وقد اخذ ملوك القوط سواء في عهدهم الأريوسي أو الكاثوليكي يضطهدونهم وأيدهم في ذلك رجال الكنيسة من المتعصبين واتهموا اليهود بتآمرهم على سلامة الدولة فزاد ذلك من اضطهاد القوط لهم، مما دعا هؤلاء التفكير في التخلص من القوط[3].

وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن اليهود قدموا العون للمسلمين ووقفوا إلى جانبهم عند الفتح، حيث استعان بهم المسلمون في حراسة المدن المفتوحة، وابقوا معهم بعض المسلمين لتولي تلك

---

[1] أبي الصبع عيسى بن سهل، مخطوط الأحكام الكبرى، تحقيق مُحَّد عبد الوهاب خلاف، مراجعة وتقديم كامل اسماعيل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1980، ص 4.

[2] حتاملة مُحَّد عبده، ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين،د ط ، عمان،1996، ص103.

[3] السيد عبد العزيز سالم،مرجع سابق ، ص65.

المهمة من اجل ضمان تقدم الجيوش الفاتحة، وحماية ظهور المسلمين، لقد عانى اليهود من الظلم والاضطهاد على يد القوط قبل الفتح، لكن بمجيء المسلمين تغيرت أحوالهم[1]. يعود إقبال اليهود على الأندلس بعد الفتح إلى المكاسب التي تحققت لهم على يد المسلمين، استقرت أقليات من اليهود في معظم المدن بالأندلس، وكانت تتمتع بحماية الدولة الإسلامية[2] ورعايتها في إطار عقد الذمة[3].

5_المولدون: كانت طبيعة المجتمع الأندلسي مزيجا من عناصر مختلفة اختلطت بعامل التزاوج، وكانت نتيجة ذلك ظهور جيل جديد من الأبناء وهم حصيلة الزواج من آباء المسلمين وأمهات اسبانيات عرفوا باسم المولدين مثل المولدون نسبة هامة من السكان المسلمين وبخاصة في الجزء الشرقي من الأندلس، حيث احتكوا بنصارى الأندلس وكذلك القشتاليين في الشمال الشرقي.

6_الصقالبة: هم الرقيق المستجلبين من الشمال، وأصلهم أسرى الجيوش الجرمانية، ثم حملوا إلى الأندلس وبيعوا فيها[4]، وكان اغلبهم أطفال وتتم تربيتهم تربية عسكرية يدربون على الخدمة في القصور والانخراط في سلك الجندية ليكونوا جنودا في الحرس والجيش والى ذلك أشار ابن حوقل بقوله: "وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من جلب الأندلس لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل بهم ذلك تجار اليهود"[5]، وقد لعب الصقالبة دورا هاما في الأندلس.

تميز المجتمع الأندلسي بثراء في مكوناته مع اختلاف في أصولهم فقد ضم بالإضافة إلى مكوناته الأساسية مجموعات مختلفة أخذت شكلها النهائي بعد الفتح الإسلامي، وان اختلفت المصادر في تسمياتها أوصافها وأحجامها فإنها تتفق على انصهارها في الثقافة العربية الإسلامية السائدة.

---

[1] مؤسس حسين، مرجع سابق، ص425.

[2] مُحَمَّد ولد آن، النصارى و اليهود من السقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين 422هـ/539م)، أطروحة دكتوره، إشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ وعلم الأثار ، جامعة وهران، 2013/2012م ، ص22.

[3] عقد الذمة تم بين أهل الذمة النصارى واليهود والدولة الإسلامية، حيث عاشوا بموجبه تحت حكم الإسلام، وترتب عليه الأمان على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم في در الإسلام، نفسه، ص22.

[4] شحلان أحمد، مكونات المجتمع الأندلسي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، د ط ، 1997، ص233.

[5] ابن حوقل، مصدر سابق، ص105-106.

المبحث الأول

أهل الذمة في الأندلس

1 : مفهوم أهل الذمة (لغة واصطلاحا)

2 : أصناف أهل الذمة

3 : موقف الإسلام من أهل الذمة

4 : أماكن تواجد أهل الذمة بالأندلس

المبحث الأول: أهل الذمة في الأندلس

1–مفهوم أهل الذمة لغة واصطلاحا

1–1 – أهل الذمة في اللغة :

الأهل في اللغة هي القرابة والعشيرة[1]، أما الذمة في اللغة فهي من الذمام والمذمة، وهي بمعنى الحق والحرمة وجمعها أذمة وفلان له ذمة أي له حق، وقال الزبيدي: "الذمام وهي كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها الذمة "[2]، ومن الذمة كذلك العهد والكفالة، وجمعها ذمام، وقيل في الذمة الأمان، وسمي الذمي لأنه يدخل في أمان المسلمين[3]، وفي الحديث النبوي الشريف: " ويسعى بذمتهم أدناهم " أي بأمانهم.

ومما سبق نستخلص أن معاني الذمة في اللغة:

1. الحق والحرمة
2. العهد والكفالة
3. الأمان

[1] ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1993 م، ج 1، ص 253.

[2] الزبيدي مجد الدين أبو الفضل، تاج العروس وجواهر القاموس دار ليبيا للنشر، بنغازي، ج 8، ص 301.

[3] نفسه، ص 301.

1-2- أهل الذمة في الاصطلاح :

أهل الذمة في الاصطلاح هم أهل الكتاب، وهم النصارى واليهود ومن اتخذ كتابا سماويا كالسامرة[1]، وذلك لقوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾[2]، ويلحق بأهل الذمة المجوس[3]،لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((سنوا بهم سنة أهل الكتاب))[4]، وذلك في أخذ الجزية، من خلال ما سبق ذكره نجد أن أهل الذمة هم المعادون من أهل الكتاب من النصارى واليهود والسامرة والمجوس وغير هؤلاء ممن لا كتاب لهم كالمشركين وعبدة الأوثان ومن أظهر الزندقة والإلحاد فلا يجوز لهم عقد الذمة.

1-3-الذمة في الفقه الإسلامي :

العهد الذي يعطى للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم، ولا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحرياتهم وأموالهم وعباداتهم[5].

تعريف آخر لأهل الذمة : الذمة هي العهد والأمان، وهي بكسر الذال وفتح الميم، فرجل ذمي معناه له عهد[6]، ويذكر المقريزي بأنها العهد والكفالة والضمان وجمعها ذمام[7]، ويقول الله عزوجل: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ١٠ ﴾[8]، أي حلفا ولا ذمة[9].

---

[1] الشهرستاني أبو الفتح عبد الكريم، الملل والنحل، مكتبة المتنى، بغداد ج2، ص 58-59 د.ت

[2] سورة التوبة، الآية 29.

[3] البغدادي، عبد القاهر ، الفرق بين الفرق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجليل، بيروت 1987، ص 201.

[4] حديث صحيح، انظر مالك بن أس بن عبد الله الأصبحي، الموطأ، تحقيق بشار معروف، مؤسة الرسالة، بيروت، ج 1، ص 288.

[5] أبو جيب، القانون الفقهي مادة ذمة، ص183.

[6] ابن منظور ، مصدر سابق، ص 61.

[7] أبو الفتح المقريزي، المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق مُحَمَّد الفاخوري، ط1، مكتبة بيروت، لبنان 1999، ص103.

[8] سورة التوبة، الآية 10.

[9] القرطبي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج5، إحياء التراث العربي، بيروت د،ت، ص79.

والذمة هي العهد، والعهد هو الميثاق، أي ما يجب الوفاء لأن نقضه يوجب الذم لقوله تعالى:

﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾[1]

فالذمة هي كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من ميثاق فهو عهد الموثق واليمن يحلف بها الرجل، تقول على عهد الله وميثاقه لقوله عزوجل:﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨ ﴾ [2].

ويرى الفقهاء أن مصطلح أهل الذمة يقصده به من عاهدهم الإمام أو تائبه من غير المسلمين عهدا مؤبدا على أمنهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم التزاما بدفع الجزية وتنفيذ أحكام الإسلام كلها[3]، فأهل الذمة هم من يدينون بغير الإسلام ويعيشون في المجتمع الإسلامي محافظين على على تدينهم، وعرفوا بذلك لأنهم يدفعون الجزية تأمينا على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، والذمة في جوهرها هي عقد مع الغير إذا هو قبل ورضي ورغب فيه واتبع لازما، فوجب عليه آداء الحقوق وترك المحرمات وفقا لأحكام الإسلام، وعقد الذمة يجوز مع أهل الكتاب وغيرهم عربا كانوا أم عجما، فهي لا تأخذ على النسب وإنما على الدين فوجبت على كل هؤلاء ولم توجب على المشركين[4]، إذ أن دعوة دعوة الخارجين عن الدين كانت بحد السيف لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾[5].

---

[1] سورة الإسراء، الآية 34.

[2] سورة التوبة، الآية 7-8.

[3] عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار النشر الجامعية، مصر 1999، ص13.

[4] الماوردي أبي الحسن علي بن مُحَمَّد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق سمر مصطفى، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 2001، ص183.

[5] سورة التوبة ألآية 5.

أما عن أهل الذمة فقد أوصى النبي ﷺ بهم خيرا، فقد روي عنه أنه قال: ((إذا فتحت مصر استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما)).

وقيل في تفسير عقد الذمة بأنه إقرار من الكفار على كفرهم بشرط بذل الحرية التزام أحكام الذمة[1]، وقيل : الحكمة في عقد الذمة معهم اكتمال دخولهم في الإسلام عن طريق مخالطتهم للمسلمين واطلاعهم على شرائع الإسلام وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال[2]، ويقول عبد الكريم زيدان في كتابه " أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام " : عقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد، وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام[3]، وهم يسمون أيضا بأهل الكتاب وهو الذين لهم كتب منزلة مثل اليهود والنصارى وممن له تسمية كتاب مثل المجوس[4]، وبعد الفتح الإسلامي خضعوا للمسلمين وأصبحوا في ذمة المسلمين فأطلق عليهم: أهل الذمة.

وسمي النصارى واليهود بأهل الكتاب تمييزا لهم عن عبادة الأوثان وذلك لأن لهم كتب منزلة هي التوراة والإنجيل، وأن اعترافهم بها يجعل لهم مكانا ممتازا لعبدة الأوثان وغيرهم، وقد ورد ذكر أهل الكتاب في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[5].

وأهل الكتاب عند الحنابلة والشافعية هم اليهود والنصارى دون غيرهم مستندين إلى قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[6].

---

[1] منصور بن يونس بن إدريسي البهوتي الحنبلي، كشاف القناع عن متن الاقناع ،عالم الكتب، السعودية ،دار النوادر ،د ط،د ت ،ج1، ص 704 .

[2] السرخسي أبي بكر مُحَمَّد بن أحمد ،المبسوط، دار احياء التراث العربي ،ج10،د ط، د ت ، ص77.

[3] عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستذمين ،دار الاسلام ،بغداد ، د ط ،د ت، ص22.

[4] الشهرستاني ، مصدر سابق ،ص37.

[5] سورة آل عمران، الآية 64.

[6] سورة الأنعام، الآية 156.

يمكن القول أن الحكمة من عقد الذمة الذي ذكر سابقا إطلاع غير المسلم على محاسن الإسلام وأهله مما يدعوه إلى الدخول في الإسلام.

2- أصناف أهل الذمة

إن مصطلح أهل الذمة لا يرتبط بأهل الكتاب وحسب، وإنما له صلة وثيقة بكل إنسان غير مسلم يعيش في المجتمع الإسلامي ويدفع الجزية مقابل توفير الأمن والأمان، فيجوز بذلك عقد العهد والذمام معهم فقد قال الله عزوجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩ ﴾[1].

وتتألف فئة أهل الذمة بشكل عام من اليهود والنصارى وكذلك الصابئة والمجوس والسامرة، وقد عاشوا وسط المجتمع الإسلامي وفق عهود ترعى وتؤمن مصالحهم مقابل جزية يدفعونها.

2-1- اليهود:

يذكر الشهرستاني[2] بأن تسمية اليهود جاءت من كلمة هاد أي تاب ورجع وهي من الهوادة والتهود. أما بن منظور[3] فيقول هو الهود، التوبة، هاد أي تاب ورجع.

وقد عرف اليهود عبر العصور عدة تسميات من بينها الإسرائيليون أو إسرائيل، وهذا الاسم البديل ليعقوب، أما سمية يهود فتدل على أحد أبناء يهودا أحد أبناء يعقوب عليه السلام. أما السامرة فهي قبيلة من قبائل بني إسرائيل تفرقوا في البلاد الإسلامية، وهي فئة من اليهود يخالفونم في بعض دينهم وإليه ينسب السامري الذي عبد العجل الذي سمع له خوار[4].

---

[1] سورة المائدة، الآية 69.

[2] الشهرستاني ، مصدر سابق 1247.

[3] ابن منظور، ، مصدر سابق، ص439.

[4] نفسه ، ج4، ص280.

2-2- النصارى:

أطلق على النصارى هذا الاسم نسبة إلى قرية الناصرة ويقال لها أيضا نصراه وقيل إلى أنصاري كما أن هذه الفئة عرفوا بعدة تسميات لكن ظلت هذه التسمية هي الشائعة ومفردها نصراني وافترقت النصارى إلى (72 فرقة) أبرزهم اليعقوبية. عاش النصارى إلى جانب المسلمين وظلوا يتمتعون بسياسة الجوار التي ضمنت لهم حقوقهم الكاملة، مما كان له الأثر الكبير في الانفتاح على الثقافة والتقاليد العربية[1].

2-3- الصابئة:

هم فرقة وثنية يعبدون الكواكب، فهم قوم يزعمون أنهم على دين نوح ويقال عنهم أنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوس، وهم نوعان: صابئة مشركون وصابئة حنفاء[2].

2-4- المجوس:

المجوس كلمة فارسية تطلق على أمة من الناس تعبد النار، وقد اعترف بهم بأنهم أهل ذمة، وعلى العموم فقد تمتع أهل الذمة بسياسة التسامح الديني التي انتهجتها الشريعة الإسلامية.

---

[1] الشهرستاني، ، مصدر سابق، ص5.

[2] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد، ج1، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997، ص242.

3- موقف الإسلام من أهل الذمة

شرع عقد الذمة في السنة التاسعة من الهجرة وذلك حين نزلت آية الذمة والمتضمنة عقد الجزية، قال الله تعالى:﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، وكان ذلك بعد فتح مكة[2]،وأما الحكمة من مشروعية هذا العقد فهي ترك منازعة غير المسلمين من أصحاب الكتب السماوية الأخرى والتعامل معهم بالحسنى والموعظة والكلمة الحسنة، أملا في إسلامهم وطمعا في إيمانهم.

وأول من عقد لهم عقد ذمة هم نصارى نجران، فلقد روى أبو عبيد في كتابه الأموال " أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران وكانوا نصارى "[3].

ويتم عقد الذمة من خلال إيجاب ما بين الإمام – أو من ينوب عليه – وبين أهل الذمة، ومن ذلك عهد الذمة وكتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى، ولا يجيز الشرع لأحد من المسلمين دون الإمام أن يعقد لأهل الذمة والسبب في ذلك أن هذا العقد هو عقد تأبيد ودوام ولا رجعة فيه سوى الإخلال بشروطه أو إسلام الذمي، كما أنه عقد ملزم للأمة بالتزام إمامها به.

ويشترط لعقد الذمة مع غير المسلم أن يلتزم بأمرين هما:

1- الالتزام بأحكام الملة الإسلامية في المعاملات المالية وفي العقوبات والحدود الشرعية، حيث أن العقد لا يجيز لهم المعاملات المحظورة، كالربا والغش والتزوير، وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا ما فعلوا ذلك، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رجم يهوديين حتى الموت بعد أن زنيا وهما محصنين[4].

---

[1] سورة التوبة، الآية 29.

[2] البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي، فتح البلدان، ط، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص49.

[3] أبو عبيد القاسم بن سلام ،كتاب الأموال،تحقيق محمد عمارة ، دار الشروق ،بيروت ،1989،ص 100

[4] البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي ،الجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه،دار المعارف ،القاهرة1972 ، ج8، ص214.

2- الإقرار بدفع الجزية[1] والتي تجب على الذمي بتوفير ثلاثة شروط هي: الذكورة، البلوغ الحرية[2]، حيث أنها لا تأخذ من النساء ولا من الصبيان دون البلوغ، ولا من عبيد.

وأما المجانين والمقعدين والرهبان وأهل الصوامع الذين لا يختلطون بعامة المسلمين فقد اختلف في أمرهم الفقهاء فمنهم من اعتبر الجزية دينا عليهم يلزمون بسدادها متى ما تيسر لهم السداد، وهناك من أسقطها عنهم.

وتسقط الجزية عن الذمي بأحد الأمرين: الوفاة أو الإسلام، وحول مقدار الجزية فالقول عند الجمهور إنها مسألة اجتهادية[3] ترجع إلى نظر الإمام في أحوال أهل الذمة وفي مكاسبهم، ولكن يشرط فيها أن لا تقل عن الدينار الواحد وذلك لفعل الرسول ﷺ (أنه ضرب على نصراني بمكة دينارا)، ولم يرد أنه ضرب بأقل من ذلك، ويقول أبو الحسن الماوردي: أقل جزية مقدرة بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد[4].

وكانت الجزية في الأندلس تقدر بثلاثة أصناف، يؤخذ من الفقير المعيل دينار، ومن المتوسط ديناران، ومن الغني أربعة دنانير، وتؤخذ منهم في آخر كل حول[5] حيث الحول هو السنة الهلالية المعتبرة في الآجال الشرعية كالزكاة والخراج. وتؤخذ الجزية إما مالا أو عينا، وفق ما هو متوفر.

وإذا ما تمت كتابة عقد الذمة، أصبح للذمي حقوق وترتبت عليه واجبات، من أهم حقوق أهل الذمة التي صانها المسلمون وتعهد لهم بها الحرية الشخصية في التنقل والترحال، وضمان الأمن والاستقرار، ومن حقوقهم المضمونة أيضا حرمة مساكنهم، ودمائهم، وأعراضهم، وأموالهم وكذلك حرية العقيدة –ضمن شروط يتفق عليها – كذلك لهم حرية الرأي، والاجتماع، والتعليم ضمن حدود القانون الإسلامي، كما أن لهم حق التمتع بمرافق الدولة، وفي القضاء بينهم، وإذا تقاضوا إلى قضاة

---

[1] الماوردي، مصدر سابق، ص182.

[3] الشيخ الدردير أبو بركات أحمد، أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك والشرح عليه، تحقيق مصطفى كمال، دار المعارف، القاهرة 1972، ص 8-9).

[3] ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص56.

[4] الماوردي، ، مصدر سابق، ص181.

[5] نفسه، ص185.

مسلمين أو كان أحد المتخاصمين مسلما أجري عليهم أحكام الإسلام، ومن حقه أيضا إقامة قاض منهم، وعلى نهجهم.

أما عن واجبات أهل الذمة فمنها عدم ذكر الله عز وجل ولا الرسول الكريم بطعن ولا بشتم أو قدح وأن لا يفتنوا مسلما بدينه، ولا يصبوا مسلمة بزنا، ولا يذكرونها بنكاح[1].

ومن الواجبات المستحبة على أهل الذمة تغيير هيئاتهم بلبس لغيار، ولبس الزنا، وجز الناصية، وليس لهم أن يعلوا المسلمين، ولا أن يجهروا بشرب الخمر، ولا بإظهار الخنازير[2]، ويمنع الذميون من إحداث كنائس وبيع شنوعات ومفردها شنوعة وهي كنيسة العبادة عن اليهود[3] .

أما عن أحكام أهل الذمة في المجتمع المسلم فهي كثيرة، متشعبة تمس جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية، ولا يتسع المقام لحصر جميع هذه الأحكام والحديث عنها.

[1]أبو عبيد، ،مصدر سابق ، ص273.

[2]الماوردي ،مصدر سابق ، ص185.

[3]عبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، دط ، 1993، ص47.

4- أماكن تواجد أهل الذمة بالأندلس

يشكل أهل الذمة نسبة لا بأس بها من سكان المجتمع الأندلسي، وتوزعوا في شتى أرجاء البلاد ساكنين الكور ومراكز المدن، إضافة إلى الضياع والقرى.

ولقد تواجد النصارى واليهود في العاصمة المركزية قرطبة وسكنوا بأحياء خاصة عرفت بهم، كما أنه لليهود باب في سورها عرف بباب اليهود[1] وضمت طليطلة وماردة وإشبيلية أعدادا من النصارى كونهم مدن ذات صبغة نصرانية قديمة إضافة إلى حصن ببشتر – قلعة الثائر عمر بن حفصون – التي ضمت أعدادا منهم، وكان لهم فيها أسقفية الأسقف جعفر بن مقسم، ولعل ذلك كان أحد الأسباب المباشرة وراء تنصر عمر بن حفصون، وكذلك سكن النصارى القرى والضياع المجاورة للمدن حيث يقول ابن حوقل: " وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين نصرانية الروم وربما عصوا في بعض الأوقات ولجأ بعضهم إلى حصن فطال جهادهم"[2] .

سكن اليهود في المدن الكبرى، فإلى جانب قرطبة تمركز العديد منهم في مدينة روطة، والتي سميت بروطة اليهود[3]، وكذلك استوطنوا مدينة إشبيلية وبرشلونة وغرناطة، غير أن التجمع الأكبر لهم كان في مدينة أليسانة، والذين وصفوا أنهم الأكثر ثراء وغنى في العالم الإسلامي كله، ويشير إليهم الشريف الإدريسي فيقول: "وهم – اليهود – يسكنون في وسط المدينة مجتمعين إلى بعضهم البعض"[4] وذلك في أحيائهم الخاصة، وحقيقة الأمر أن هذه الظاهرة الاجتماعية ذات جذور عقائدية قائمة على عقلية المؤامرة لدى اليهود، وهي استنادا إلى مبدأ العزلة والاعتزال عن بقية شعوب العالم، باعتبار أنهم جنس مميز وشعب الله المختار، أما غيرهم فهم خدم لهم مسخر لخدمتهم"[5].

والجدير بالذكر أنه قد ترتب على هذا التوزيع الديمغرافي للذميين في الأندلس أن نشأت علاقات اجتماعية هامة مع المسلمين كالصداقة والمصاهرة والزواج المختلط.

---

[1] ابن حيان، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تحقيق عبد الرحمان على حاجي، دار الثقافة، بيروت 1965، ص113.

[2] حوقل ،مصدر سابق ، ص106

[3] ابن حيان، مصدر سابق، ص335.

[4] الشريف الإدريسي أبو عبد الله بن مُحَمَّد، صفة المغرب وأرض السودان، مطبعة بريل، ليدن، 1967، ص 67

[5] حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، د ط ،دمشق 1987، ص96.

ومن أهم العلاقات نذكر:

- **الصداقة:**

تمتع أهل الذمة في الأندلس بقسط وافر من الحرية والتسامح والمواساة الاجتماعية، حيث سمح لهم بالسكن والتنقل والترحال في أي وقت أرادوا من دون قيد أو شرط.

ولقد جاور الذميون المسلمين في سكناتهم، وارتبط بعضهم بعلاقة صداقة مع جيرانه، فلقد ذكر ابن الخطيب[1] عن تميز الصداقة التي قامت بين أرطباس بن غيطشة وبين أمراء وحكماء المسلمين[2]، فهو الذي أشار على الأمير أبو الخطار حسام بن ضرار بتفريق الشامي في الكور خوفا من صدامهم مع الجند البلديين، وهو كذلك الذي بصر الأمير عبد الرحمان الداخل بأمور كان الناس ينكرونها عليه[3] وبينها له بدافع الصداقة.

- **الزواج المختلط :**

تعد ظاهرة المصاهرة والزواج المختلط بين المسلمين والذميين من أهم المظاهر الاجتماعية التي ميزت العلاقات بين الطرفين، فمن المثبت تاريخيا أن المسلمين الذين وفدوا إلى الأندلس كانوا جنودا فاتحين ولم يجلبوا معهم النساء والجواري[4]، وبعد أن انتسب لهم الفتح وأخذوا بالاستقرار لجأوا إلى مصاهرة سكان البلاد من نصارى ويهود، ولم يكن عليهم حرج أو قيد في ذلك في الشرع الإسلامي قد سمح لهم بالزواج بالذميات، حيث استمرت العديد من الزوجات النصرانيات بممارسة شعائرهن الدينية دون تضييق من الأزواج المسلمين، وقد خُير أبناؤهم بين اعتناق الإسلام أو النصرانية، وإن نسبوا إلى الأب المسلم.

وتشير بعض الدراسات أن الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير كان أول من تزوج بنصرانية إجلونة (Egilonna) أرملة لوذريف وتدعوها المصادر الإسلامية بأم عاصم[5].

---

[1] حسن ظاظا، الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، 1987، ص96.

[2] ابن الخطيب، الإحاطة، مصدر سابق ، ص103.

[3] ابن القوطية ،مصدر سابق ، ص94.

[4] العبادي، ،مرجع سابق ، ص346.

[5] المقري، ، مصدر سابق ،ص 243-244.

ومن أشهر حالات المصاهرة بين المسلمين والنصارى زواج سارة القوطية ابنة المنذر بن غيطشة التي تزوجها عيسى بن مزاحم ومن نسبهم المؤرخ ابن القوطية[1].

ولم يقتصر الحال في الزواج المختلط على طبقة الحكام والأغنياء فقط بل زاد على ذلك.

ومن أهم الجوانب التي يمكن ذكرها على أهل الذمة بالأندلس هي ممارسة شعائرهم الدينية حيث احتفل كل من اليهود والنصارى في الأندلس بأعيادهم ومناسباتهم الدينية الخاصة بهم، وسمحت لهم السلطات الإسلامية بممارسة الطقوس والشعائر اللازمة لهذه الاحتفالات بجو من الحرية والتسامح بعيدا عن التعصب والتضييق.

ولقد أورد عريب بن سعد وربيع بن زيد الأسقف في مؤلفهما تقويم قرطبة المعروف أعياد النصارى الدينية في الأندلس قال:" وقد ذكرت في هذا الكتاب جميع أعياد العجم التي لا تختلف أوقاتها ولا تتغير أزمانا، وذكرت ذلك عيدا عيدا في كل شهر من شهورهم ليكون ذلك زيادة في المعرفة وعونا في الدلالة"[2].

وأول هذه الأعياد وفقا للشهور العجمية (الميلادية) هو عيد النيروز[3] وهو من الأعياد الفارسية ويوافق الأول من يناير، وتشير الدراسات أنه كان في ختان السيد المسيح عليه السلام، وكان الأندلسيون يحتفلون به بإعداد أرغفة الخبز وغيرها من المأكولات ويتبادلون الهدايا، ويأتي بعدها عيد الغطاس[4]، ويقولون أنه طهر لجمر المسيح عليه السلام، ويأتي بعده عيد يسمونه قنديلزا وهو من أعظم الأعياد عندهم، وكذلك عيد المغفرة، ويسمى عيد السمع، وأعياد أخرى كثيرة.

هذه بالنسبة لأعياد النصارى، أما أعياد اليهود فمنها الأعياد الشرعية وهي الأعياد الدينية التي نطقت بها التوراة، ومن هذه الأعياد عيد رأس السنة العبرية[5]، وهو يقوم في ذكرى افتداء الله لإسماعيل لإسماعيل عليه بعد أن كاد والده إبراهيم عليه السلام أن يذبحه، ويعتبر هذا العيد عتق وحرية عند

---

[1] ابن القوطية ، مصدر سابق ، ص 74-75.

[2] عريب، ربيع، ص21.

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929م، [3] ص184.

[4] عريب، ، مصدر سابق، ص25.

[5] النويري، ،مصدر سابق، ص195.

اليهود، ومن مظاهره نفخ الأبواق أثناء الصلاة والترتيل والتهليل[1]، وكذلك عيد الغفران أو الكفارة من الأعياد الشرعية العامة عندهم وهو صومهم الأكبر، ويزعم اليهود أن الله يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم.

ومن أعيادهم كذلك عيد الفطر[2]، ويسمونه عيد الفصح ويأتي في الخامس عشر من نيسان. ويعد الحج إلى قبور القديسين وزيارة المزارات الدينية من الطقوس الهامة عند الذميين في الأندلس، حيث ضم ثرى البلاد عددا من أحداث القديسين والرهبان الذين قدموا خدمات كثيرة للتبشير بالديانة النصرانية، وأشهر هذه المزارات إطلاقا هو مزار يعقوب الحواري – شانت ياقب – في حليقية شمال الأندلس، وهو أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، حيث تذكر بعض الدراسات أن تلامذته حملوا جثته وعبروا البحر فتقود فيهم الرياح حتى خرجوا بها إلى المحيط أين انحرفت بهم شمالا حتى انتهوا في موضع في قاصية جليقية، ودفنوا جثمان الحواري في سفح التلال هناك، ومضت العصور ولم يعلم مكانه حتى عام (835م-218هـ)، حيث زعم القس تيودمير أنه اكتشف القبر بأن ظهر له نجم في السماء ورأى في مكانه أن قبر يعقوب هو بالقرب من مكان النجم على الأرض، وحفر هناك فعثر على رفات وحمل النبأ في الحال إلى الملك آذ فونس الثاني ملك ليون الملقب بالعفيف الذي بدوره أمر ببناء كنيسة فوق الموقع وأطلق على الموقع مرج النجم[3]، واعتبر القبر منذ ذلك اليوم قدس من الأقداس المعروفة في عالم النصرانية وأخذ الناس يحجون إليه من شتى الأرجاء.

وكذلك من مزارات النصارى في إسبانيا قبر امرأة شهيدة في قرطاجنة[4]، كان لها مزار هام.

ومن الجدير بالذكر من بدايات الفتح العربي الإسلامي لبلاد الأندلس، اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد الأصليين بالتسامح وعدم التدخل في عقائدهم وتركهم يعيشون بمدنهم، وهذه السياسة المثلى التي اتخذها المسلمون اتجاههم عاملا هاما في اجتذاب إلى الإسلام والاقتناع به وخاصة العدالة والمساواة، ولم يحاول المسلمون إرغام الناس على دخول الإسلام لأن هذا كان أسلوب العرب الذي اعتادوا عليه في نشر الإسلام في كل بلد يدخلونه، فلم يتدخل الحكام في

---

[1] غازي السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس عند اليهود، عمان، دار الجليل، 1987، ص11.

[2] نفسه ، ص14-15.

[3] الحميري ، مصدر سابق ،ص115.

[4] المقري، ، مصدر سابق، ص168.

شيء من عقائدهم، وتركوا لهم أن يعيشوا عيشتهم، وهذا يمثل مظهر من مظاهر التسامح لدى للمسلمين[1].

وقد ترك المسلمون للنصارى واليهود كنائسهم وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية بكل حرية، وسمح لهم بقرع النواقيس للصلاة رغم ما تسببه من أذى لأسماع المسلمين.

من خلال ما ذكرنا سابقا يمكن القول أن المسلمين الفاتحين للأندلس قاموا بتطبيق تعاليم الإسلام فيما يخص أهل الذمة بكل أمانة وصدق، فقد تمكن النصارى واليهود وغيريهم من المحافظة على أملاكهم، وتمتعوا بحريتهم الدينية حيث ساد التسامح الديني وحرصوا على ان تكون علاقتهم مع السكان الأصليين جيدة وقوية.

[1]عبادة كحيلة ، مرجع سابق، ص82.

المبحث الثاني: المعاملات الإدارية

1-التنظيمات الإدارية للنصارى و اليهود

2-الوظائف السياسية للنصارى و اليهود

3-المهام الدبلوماسية لأهل الذمة

1- التنظيمات الإدارية للنصارى واليهود

1-1- التنظيمات الإدارية للنصارى:

ترك المسلمون للنصارى نظامهم المدني الذي كان سائدا وفق شريعتهم وبخاصة مجموعة القوانين التي ترجع إلى عهد القوط، وأبقوا لهم المسؤولية عن كل ما يتعلق برعاياهم فقد كانوا يجمعون ضرائبهم ويؤدونها إلى بيت مال نيابة عنهم و كانوا يعينون لهم القضاة الذين يفصلون في منازعتهم بحسب القانون القوطي، وكانوا يشرفون على كنائسهم ويتولون أمور قساوستهم.[1] ويقومون باختيار الشخص الذي يمثلهم أمام السلطة الإسلامية ويديروا شؤونهم في المدن والأرياف ،وهو المعروف عندهم بـــ:

1-1-1القومس[2]:

أطلق على رئيس الجماعة النصرانية اسم القومس إلا أنه كان يطلق عليه أيضا قومس الأندلس وزعيم عجم الذمة وكان يطلق عليه كذلك زعيم النصارى الذمة. وتعد هذه التسمية وكذا "متولى المعاهدين" صفة القومس وليس اسم لوظيفته[3].

ترك المسلمون لنصارى حرية اختيار القومس الذي يرأسهم ويدير شؤونهم المدنية،إذا أبقوا لهم كامل الحق في بانتخابه على خلاف ما كان عليه الحال أيام القوط .فقد كان ملك قوط يقوم بتعيين القمامسة من بين أصحابه ومقربين إليه،بينما اكتفى المسلمون باختيار القومس الأعلى وهو ملقب بقومس الأندلس، ولم يتركوا له الحق في تعيين قمامسة النواحي لأن ذلك يعطيه سلطانا واسعا باعتبار غالبية أهل البلاد كانوا نصارى[4].

شكل القومس حلقة اتصال بين قومه من النصارى وبين السلطة الإسلامية ، وكان يترأس جهازا إداريا كاملا، حيث يعاون القمامسة موظفون آخرون أصغرهم كانوا يعملون تحت إدارتهم

---

[1] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 499.

[2] رجب عبد الحليم، العلاقات الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ،دار الكتب الاسلامية، دط، بيروت ،ص70.

[3] عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 85.

[4] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص، 491.

خاضعين لسلطانهم في المدن، وينوبون عنهم في القرى الداخلية في زمام ناحيتهم وكانوا يتولون الأعمال المختلفة من الإدارية و المالية و قضائية[1].

أشار ابن الخطيب إلى تولي رؤساء من أهل الذمة شؤون جماعتهم بقوله: "يرأسهم أشباخ من أهل دينهم، أولو حنكة ودهاء ومداراة، ومعرفة بالجباية لرؤوسهم".[2]

ومما ساعد في تنظيم و إدارة شؤون النصارى أن المسلمون عندما فتحوا الأندلس وجدوا مدنها منظمة تنظيما دقيقا، حيث شكلت كل مدينة وحدة قائمة بذاتها و لها زمام حولها يتبعها ، وتم احترام هذا التنظيم على أنه جزأ من احترام المسلمين لعهودهم مع أهل الذمة.[3]

وتبعا للهيكل التنظيمي للمدن في الاندلس الموروث عن القوط يمكن نميز بين نوعين من القمامسة:

1-1- 2- القومس الأعلى أو قومس الأندلس: ويتم تعينه من قبل السلطة الإسلامية أو ينتخب من طرف النصارى أنفسهم ،ليتم المصادقة عليه من قبل الحكام المسلمين ويتولى مهام تمثيل قومه من النصارى لدى السلطات الإسلامية و كان مسؤولا عن كل ما يتصل بأمورهم منها: جمع الضرائب وتأديتها لبيت مال ،كما كان يعين لهم القضاة ويشرف على كنائسهم[4] .

1-1-3 -قومس المدينة: كان ينتخب من طرف أهل ملته وبالخاصة الأثرياء منهم ،وتصادق عليه السلطة الإسلامية وكان له من ينوب عنه في القرى و الحصون الداخلية في زمام مدينته[5]، ومن مهامه:

الإشراف على الكنائس ، تولي أمور رجال الدين المسحيين في المنطقة جمع الجزية وتقديمها إلى السلطات الإسلامية ،كما كان يقوم أيضا بتجنيد المستعربين المتطوعين بهدف تكوين وحدات تتراوح أعداد أفرادها بين مائة و خمسين رجلا بطلب من سلطات الإسلامية التي كانت تستعين بهذه

---

[1] مُحَمَّد ولد آن، مرجع سابق، ص،44.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه، مُحَمَّد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي لنشر، ط، 1393هـ/1973 م المجلد الأول ،ج1، ص107.

[3] حسن مؤنس ،المرجع السابق، ص 490.

[4] نفسه، ص 500.

[5] مُحَمَّد ولد آن، مرجع السابق، ص33.

الوحدات أحيانا للحفاظ على الأمن الداخلي أو لشن حملات عسكرية على مناطق المرتدة أو الممالك المعادية. وكان القمامسة في المدن و الكور بمثابة عن السلطات الإسلامية في مناطقهم ينبؤونها بالأحداث السياسية التي تحدث هناك .ومن المواصفات التي كان يتصف بها القومس الحنكة و الدهاء و المدارة بالإضافة إلى شهرة والصيت و الجاه عند الحكام المسلمين. كما كان كذلك يتصف بالحلم والسلطة على أهل ملته إذا لا يجب أن يرفضوا له أمرا أو يخالفوه[1].

1-1-4- المشرف :

وهي وضيفة أقل شأنا من سابقاتها ويوكل إلى صاحبها الإشراف على جملة من الشؤون المالية والإدارية في الناحية[2].

1-1-5-مستخرج الخراج:

وهو موظف المسؤول عن جمع الضرائب و الجزية و الخراج لصالح المسلمين ،وهي وظيفة حلت محل قومس الخزانة في عهد القوط وعرف بعجمية أهل الاندلس ب Expector[3].وهو مكلف بحساب الخزينة و مهمته مراقبة و جمع الجزية و المغارم.

يتضح إذا أن النصارى في الأندلس كانوا أحرارا في إدارة شؤونهم المدنية والسياسية وفق التشريعات القوطية التي كانت معمولا بها قبل الفتح، فوجد نظامين متزامنين في الأندلس أحدهما خاص بالمسلمين والثاني خاص بالنصارى وهذا ما يدل على مدى احترام المسلمين للحياة الخاصة للمسيحيين في إطار العهود التي أبرمها الطرفان . وهذا بدوره يوضح المكانة اللائقة و الحسنة التي يتمتع بها المستعربون في ظل المجتمع الإسلامي في الأندلس

---

[1] أحمد مُحَمَّد المقري التلمساني ،نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، حققه احسان عباس،دار الصادر ، بيروت،1408/1988م،ج4، ص 444.

[2] نفسه، ص 492.

[3] حسن مؤنس ،مرجع السابق، ،ص 493.

1-2-التنظيمات الإدارية لليهود:

لقد تمتع اليهود بحرية تامة في تسيير شؤونهم دون تدخل السلطة الإسلامية، حيث وفرت لهم الحماية والرعاية مما كان له أثر كبير في رخائهم على المستويات كافة، إضافة الى حرية في ممارسة شعائرهم[1].

1-2-1-رئيس الطائفة اليهودية الناسي:

وهو زعيم الجماعة اليهودية و أطلق عليه عدة تسميات من بينها (البرور) وله مجلس يسمي (البروريم) وكانوا ينتخبونه أول مرة ،ثم أصبح السابقون منهم يعينون من يخلفهم وكانت مدة ولايتهم عاما ، وقد اختلف عددهم من مدينة إلى أخرى بحسب الجماعة اليهودية و أهميتها ،وكانوا مسؤولين أمام حكومة الإسلامية عن كل ما يتصل بالجماعة و الضرائب و الإلتزامات أخرى[2].

كانت الأرستقراطية عند اليهود هي التي تقوم بدور القيادة المحلية من النخبة المعلمة، وتتكون في المجتمع اليهودي من الأحبار الرسميين و القضاة الذين لهم سلطة القرار في القضايا الشرعية.

ومن أعضاء مجلس الطائفة و الأعيان من لهم أسباب الوجاهة ما يكفي ومن رجال المال وكبار التجار الذين من بينهم يتم تعيين أكبر شخصية في الطائفة[3].

تحدث عبد الله بلقين عن رئيس الطائفة لدى اليهود في أيام حكمه لغرناطة ،وذلك عندما أشار إلى أنه عين أمينا ليهود اليسانة[4]

وهو ما يفهم منه تدخل السلطة الإسلامية بتعيين رئيس للجماعة اليهودية ،إذا ليس من المستغرب فعل ذلك خاصة وأن الحكام المسلمون واظبوا على تعيين رئيس طائفة النصرانية(القومس الأعلى للأندلس) وحددوا له مهام رعاية شؤون أبناء طائفته وتمثيلهم أمام السلطة الإسلامية.

---

[1] إبراهيم القادري بوتشيش ،مرجع السابق، ص 545،546.

[2] حسن مؤنس، مرجع السابق، ص545، 546.

[3]حاييم الزعفراني ، يهود الاندلس و المغرب، ترجمة احمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة دار البيضاء، الرباط،2000م،ج1، ص 78

[4] ابن بلقين عبد الله بن باديس ، مذكرات الامير عبد الله بن بلقين، المسماة بكتاب التبيان حققه، ليفي بروفنسال، دار المعارف،مصر،ص143.

كما أطلق على رئيس الجماعة اليهودية النغيد[1] أو الناسي وذلك عندما استقلت الجماعات اليهودية بالأندلس عن مركز قيادة بابل بالعراق حينما أصبح النغيد أو الناسي رأس الطائفة ومرجعها[2].

اهتم أمراء الطوائف بتنظيم شؤون اليهود حيث عين بعضهم رئيس لليهود في إمارته ومن أبرز رؤساء الطائفة وقتها اسماعيل ابن النغريلة في غرناطة حيث صار يلقب باسم النغيد.

وقد وصف ذلك ابن بسام: "وتسمى من خططهم الشرعية بالنغيد ومعناها المدبر بالعربية خطة تحاماها قدماؤهم ،وطأطأ عنها قديما زعماؤهم ،و اجترأ هو عليها.[3]

كما تولى أيضا منصب رئيس الطائفة لدي اليهود في سرقسطة أبا عامر يقوتئيل يوسف[4].

1-2-3-كبير الأحبار (الحاخام الأكبر):

كان المنصب الثاني الذي يلي منصب الناسي في الأهمية هو منصب كبير الأحبار أو الحاخام كما يسمى لاحقا وقد شغل هذا المنصب في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-916م) الحبر موسى بن حنوخ قام حسداي بن شبروط بمنح ابن حنوخ منصب كبير الحبار ،إذ أن مناصب الأحبار وقضاة كانت بيد الناسي المسؤول الأول في السلم الاداري للطائفة اليهود في الاندلس،وهذه الصلاحيات التي أعطيت للناسي هي إحدى المؤشرات على التسامح الإسلامي مع اليهود و تعاون كل من حسداي بن شبروط و ابن حنوخ على تنظيم شؤون اليهود في الأندلس وتطوير المدرسة اليهودية في قرطبة، فاستقدموا إليها عددا من أحبار اليهود وجلبوا إليها من المدارس اليهودية في العراق نسخا من التلموذ و سرعان ما حصلت هذه المدرسة على شهرة

---

[1]النغيد :شخصية تقوم غالبا بدور مهم في القصر مثل المستشار الشخصي للملك او تقوم بمهام السفارة أو ممون الجيش وغير ذلك،و النغيد ايضا هو سلطة الوصل بين الطائفة و السلطات الرسمية. أنظر : حاييم الزعفراني المرجع السابق،ج1،ص78

[2]نفسه، ص49

[3]ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة تحقيق احسان عباس دار الثقافة ،دط،بيروت،1997م ،ج1،ص767

[4]محمد بحر عبد المجيد ، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للنشر،1980م،دط،ص54.

كبيرة ،بحيث أن الطلاب اليهود بدأوا بتدفق إليها من مختلف مدن الأندلسية وشمال إفريقيا حتى أصبحت مركز التعليم اليهودي في العالم[1].

1-2-3-الحزان:

ومن المناصب الإدارية داخل الطائفة اليهودية منصب الحزان وهو بمثابة الخطيب يصعد المنبرويعظهم وكان لكل كنيس يهودي حزان خاص ومن مهمته أيضا الإنشاد و الإمامة المصلين في المناسبات الدينية ،واشترط اليهود أن يكون الحزان متعلما صاحب سمعة جيدة وصوت جميل مجيد للأناشيد العربية وهناك سؤال وجه إلى أحد أحبار الأندلس المشهورون في القرن الر ابع هجري العاشر ميلادي حول حزان يتردد على بيوت الدعارة وله علاقة شاذة بأحد الشبان و قد قرر الحبر طرده وحتي وأن تاب لم يتم إعادته إلى منصبه[2].

1-2-4مجلس الطائفة:

عرفت المجتمعات اليهودية في مدن الأندلس نظاما يسمي بمجلس المدينة ومن مهمته الإشراف على إدارة شؤون الطائفة في المدينة، و المجلس يتكون من سبعة أشخاص يسميهم اليهود (بشيوخ) ويصلون إلى هذا المجلس بالانتخاب ومدة بقاء هذا المجلس سنة واحدة وتحتسب بتقويم اليهودي ،وقد أخذ يهود الأندلس هذا التنظيم الإداري عن الرومان الذين اعتمدوا في الإدارة مدنهم على مجلس منتخب من أبناء تلك المدن وقد مارس اليهود هذا التنظيم منذ عهد الحكم الروماني لإسبانيا[3] وقد تمسكوا به في عهد القوط ،ولم يتركوه إلا بعد أن اشتد عليهم الاضطهاد القوط الكاثوليك ثم عادوا إليه طوال الحكم الاسلامي للأندلس ومن مهمات مجلس الشيوخ أو الطائفة:

أن يشرع مجموعة من القوانين ويطالب اليهود باحترامها و الالتزام بها ،وكان أحبار اليهود يوصون بطاعة هذه القوانين باعتبارها قائمة على التشريع اليهودي وقد سميت مجموعة القوانين التي

---

[1]خالد يونس عبد العزيز خالدي، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس92هـ-897هـ،دار الارقم ،غزة ،فلسطين ،ص 393.

[2]خالد خالدي، مرجع سابق،ص،349.

[3]خالد الخالدي ،مرجع سابق، ص،349.

يصدرها المجلس بالتقنوت[1] وهي كلمة عبرية كما سميت أيضا (الضوابط) وهي الاسم العربي للكلمة العبرية السابقة

وكانت لغة الضوابط هي العربية بالرغم من وجود بعض الكلمات العبرية فيها وذلك حتي تكون مقروءة و مفهومة للجميع بما فيها السلطات الإسلامية لكي يسهل الاطلاع عليها و مراقبتها، وكان يتم الإعلان عنها بعد مصادقته قادة الطائفة عليها حيث يدعى إلى اجتماع يحضره جميع يهود المدينة في أحد أماكن العبادة عند اليهود[2].

[1] التقنوت: وهي النوازل و الاحكام الفقهية التي سنها علماء اليهود على مر العصور.أنظر: حاييم الزعفراني ،المرجع السابق،ج1،ص 265.

[2] خالد خالدي، مرجع سابق ،ص 350.

2- الوظائف السياسية للنصارى واليهود بالأندلس:

2-1- الوظائف السياسية للنصارى بالأندلس:

إن المعلومات التي أوردتها المصادر الإسلامية وحتى النصرانية عن الوظائف التي تولاها النصارى غير وافية بالاستثناء بعض الإشارات عن حالات الفردية لعناصر شغلت في بلاطات حكام المسلمين خاصة عصر ملوك الطوائف ،حيث شهدت علاقة تعاون بين الدولة الإسلامية و النصارى تطور ملحوظا خلال عصر ملوك الطوائف، ولقد ازداد الاعتماد على النصارى في كثير من الأعمال فعندما انهارت الخلافة و انهارت معها الدولة الأموية قامت على أنقاضها دويلات الطوائف ،حيث حدث تغيير لأحوال النصارى بالأندلس وذلك من خلال مشاركتهم الفعالة في تسيير شؤون تلك الدويلات الوليدة.

ففي عهد بني جهور الذين حكموا بقرطبة استخدم مُحَمَّد بن جهور[1] فرنان غومس القشتالي.

ولم يقتصر أمر اشتراك النصارى في دواليب الحكم على دولة بني جهور بل قربهم واستعملهم المعتضد بن عباد (433-461هـ/1041-1068م) في تسيير شؤون مملكته بإشبيلية ورفع مكانته ونظمه بين وزرائه وحاشيته [2].

عرف عصر ملوك الطوائف شيوع جو من التسامح مع النصارى، لا أدل على ذلك من توليهم مراكز ووظائف هامة ،ففي سرقسطة قامت دولة بني هود و خصوصا في عهد المقتدر (438-475هـ/1046- 1082م) تولى الخدمة في بلاطه الوزير الشاعر الأديب أبو عامر غند شلب كما علا شأن السيد الكمبيطور في بلاط سرقسطة بعد فراره من قشتالة ، وتوطت مكانته واشتد نفوذه عند المؤتمن بن هود ،فكان لا يبرم أمرا من الأعمال الحربية أو السياسية دون مشاورته[3].

---

[1]هو ابو الوليد مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابي جهور بن عبد الله ،نهاية بيت الشرف الاثيل بقرطبة قد تولى الحكم بقرطبة بعد وفاة والده ابو الحزم بن جهور 435هـ/1034م،اقتفى سنن ابيه في السياسة و تميز عهده بالإقامة الحدود وشيوع العدل. أنظر: الشنتريني ، مصدر سابق ،ج1،ص604

[2]دندش عصمت عبد اللطيف، دراسات اندلسية في سياسة و الاجتماع، دار الغرب الاسلامي،ط1،1430هـ/2009،ص91

[3]دندش عصمت ،مرجع سابق،ص92.

وفي غرناطة اعتمد باديس بن حبوس على أهل الذمة في خدمته حتى استولى علي مقاليد الأمور في عهده ،فقد استعمل أبا الربيع النصراني الذي تقلد مسؤوليات هامة .

و أشار إليه عبد الله بن بلقين بقوله:".....أرسل أبي الربيع النصراني وكان فيما مضى كاتب حشم قد عرف خدمة اليهودي و تصرف معه[1].

أما في عصر المرابطين فقد تم استخدام النصارى في مهمة جباية الضرائب ،ويعتقد إبراهيم القادري بوتشيش بأن لجوء المرابطين إلى توظيفهم في هذا المجال كان من أجل تفادي رفق المسلمين بأهل ملتهم[2].

وفي المجال الدبلوماسي لعب النصارى دورا هاما يتعلق بسياسة الخارجية ،حيث برز اسم ششنذو في اشبيلية كان مقربا من المعتضد بن عباد فساعده على الظهور، ورفع مكانته ونظمه بين وزرائه وحاشيته، واستخدمه في مهام مسيحية خاصة عند فرناندو ملك قشتالة، لكنه فر من إشبيلية و لجأ إلى بلاط قشتالة عند فرناندو الذي رحب به و جعله أحد مستشاريه وأولاه رعايته لما كان عليه من معرفة تامة في اللغة العربية و الدين الإسلامي و أحوال المسلمين و عاداتهم فكان له دور كبير في تكييف سياسة قشتالة تجاه ملوك الطوائف[3]

وفي سرقسطة برز اسم أسقف طرطوش الذي استعان به المقتدر بن هود في مهمة دبلوماسية عندما بعثه برسالة إلى شنت ياقب[4]حيث مقر فرناندو ملك قشتالة .

---

[1] ابن بلقين ، مصدر سابق، ص 66

[2] القادري بوتشيش ، مرجع سابق ،ص 90

[3]دندش عصمت ، مرجع سابق ،ص 91.

[4] شنت ياقب :كنيسة عظيمة عند الروم بمنزلة بيت المقدس اليها يحج اهل الشام من الروم و اهل القسطنطينية وروميه و الارمان وعيرها من اصناف الروم اكتسبت عندهم هذه الفضيلة لسبب انها من بنيان رجل من حواريين عيسى عليه السلام اسمه ياق ،والى هذا الاسم نسبت الكنيسة و قيل لها شنت ياقة بمعنى مسجد وهي معظمة من قديم الدهر ليس لها مدخل الا على مكان واحد و عليه يشق نهر المسمى المرسين الهابط من جليقية. أنظر: ابي عبد الله مُحَمَّد بن ابي زهري، كتاب الجغرافية ،تحقيق مُحَمَّد حاج صادق ،مكتبة الثقافية لنشر ،ص 105،106.

ويفسر نشاط و اهتمام ملوك سرقسطة بالمجال الدبلوماسي قربهم الجغرافي و تداخل الأراضي بينهم و جرانهم من نصارى الشمال،وماقد يتسبب ذلك من حروب و صراعات الأمر الذي استدعى اللجوء إلى فتح قنوات الإتصال بينهم و بين جيرانهم المسلمين وملوك الطوائف

2-2- الوظائف السياسية لليهود بالأندلس:

عرف الأندلس الكثير من الصراعات عقب انهاء الدولة الأموية 422هـ/1031م،وقد تضرر إثر تلك الصراعات جميع سكان بينما فيهم اليهود ،الذين تفرقوا في مناطق الأندلس وخارجها.

لقد تحسنت وضعية اليهود كثيرا في بداية عصر ملوك الطوائف فبعد أن احتلوا أسفل درجات السلم الإجتماعي و السياسي خلال حكم القوط ترقوا في ظل الحكم الإسلامي إلى مناصب الدولة السامية ،وأصبح نفوذهم يتسع في ظل مملكة بني زيري البربرية بغرناطة.

حيث أن الحروب التي عرفتها الأندلس بعد انتهاء الخلافة الأموية أدت إلى هجرة كثير من اليهود ،ومن هؤلاء نذكر أكثرهم شهرة وهو إسماعيل بن النغريلة الذي دفعه تيار الهجرة للخروج من قرطبة إلى مالقة على ساحل الجنوبي سنة 404هـ/1013م[1] .

2-2-1- أسرة بن النغريلة و منصب الوزارة:

2-2-1-1-إسماعيل بن النغريلة:

ولد إسماعيل بن النغريلة في قرطبة سنة 383هـ/993م ودرس التلمود[2] علي يد الرباني حنوخ حبر الطائفة اليهودية ،كما اهتم بدراسة الأدب العبري وألم بمعظم العلوم انذاك واشتغل في حانوت عطارة صغيرة افتتحه أولا في قرطبة ،ثم انتقل إلى مالقه التي نزح إليها بعد استلاء البربر عليها[3].

---

[1] مُحَمَّد بحر، مرجع سابق، ص 39

[2] التلمود :هو قانون وشريعة شفهية التي كانت يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود سرا بعد جيل ثم انهم لخوفهم عليها من الضياع دونوها وكان تدوينها في القرن الاول و الثاني بعد الميلاد نواطلق عليها اسم المشناة ثم شرحت فيما بعد هذه المشناة وسمي الشرح جمارا والفت هذه الشروح في فترة طويلة ،امتدت من القرن الثاني بعد الميلاد الي القرن السادس بعد الميلاد ،وتعاقب علي الشرح حاخامات بابل و حاخامات فلسطين ثم سمي المتن و هو منشاة مع الشرح وهي الجمار التلموذ مقدس عندهم فيقولون: "من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس المشنا فعل فضيلة يستحق المكافأة عليها ومن درس الجمار فعل اعظم فضيلة" أنظر: سعود عبد العزيز خلف ،دراسات في الاديان اليهودية و النصرانية،ط1،مكتبة الأضواء السلف،الرياض،1418هـ/1997،ص،101 ،102

[3] رينهرت دوزي ، المسلمون في الاندلس ،ترجمة حسن حبشي،ج3،الهيئة المصرية لطباعة،1995م،ص21.

ترك أسماعيل بن النغريلة بصماته على الحياة العامة في الأندلس وكان له أثر كبير في حياة اليهود في الأندلس خاصة في عصر ملوك الطوائف وكذلك الصراع بين دول الطوائف في عصره.

استقر إسماعيل بن النغريلة في مدينة مالقة و تقول الروايات اليهودية أنه كان يكتب الرسائل لسكان تلك الناحية حيث اشتهرت كتاباته بروعة البلاغة و الأناقة اللفظية فسأل وزير حبوس إبن العريف عن تلك الرسائل وعرف عليه أنه يعمل مساعدا له في خدمة أمير غرناطة حبوس ، فوافق إسماعيل ورحل إلى غرناطة.[1]

ويذكر عبد الله بن بلقين عمل إسماعيل بن النغريلة كاتبا مع أبي العباس بن العريف وكيف استطاع بعد وفاته أن يتجاوز إبنه ويصعد مباشرة للمنصب إذ يقول ."ولما توفي أبو العباس المذكور وترك بنين أقام حبوس – رحمه الله–أكبرهم عوضا من أبيه و استعمله مكانه ، وكان في الابن صبوة لا يرتبط معها إلا خدمة الرياسة ،فمكر به أبو إبراهيم اليهودي و لزم خدمة الرئيس ، وصار متى غاب ولد أبي العباس يحضر أبو إبراهيم فيسال عنه حبوس فيقول معتذرا في الظاهر و مطالبا في لحن القول ،ولد أبي العباس كما ترك صبي يؤثر الراحة و أنت جدير بالإعضاء عليه وإقامة عذره ،وأنا عبده وأنوب منابه فمرني بما شئت يتهيأ ذلك ،فلم يزل على هذا أبدا حتى تمكن و ظهرت خدمته وسعيه في ضم الأموال[2].

وقد أعجب الأمير حبوس بذكائه وكياسته وجعله موظفا مسؤولا عن جباية الضرائب في إمارته وكانت وظيفته تحصيل الضرائب يشغلها اليهود في غرناطة عندما كان آل النغريلة يتولون الوزارة.[3]

جنى إسماعيل بن النغريلة أموالا كثيرة من هذه الوظيفة لكنه كسب معها كره كثير من طرف اليهود في غرناطة الذين وجدوه متسلطا يأخذ منهم فوق ما يطيقون علي سبيل أن يظهر قدراته في جميع الأموال الدولة. .

تحدث عبد الله بن بلقين عما أبان إسماعيل بن النغريلة من قدرة وكفاءة في جمع أموال الدولة بقوله: "لم يكن بد من مثله أن يجمع له من الأموال ما يدرك معها الآمال لم يكن له تسلط على

---

[1] محمد بحر ،مرجع سابق ،ص 39،40/ رينهرت دوزي ، المرجع السابق ،ج3،ص 22.

[2] ابن بلقين ،مصدر سابق ،ص 30،31.

[3] محمد بحر، مرجع سابق، ص 40.

مسلم في الحق ولا باطل ،ولأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة و العمال إنما كانوا يهودا فكان يجنى منهم ما يملأ بيت المال وإقامة أود المملكة أولى به منهم .[1]

استطاع إسماعيل بن النغريلة بفضل مهارته وكفاءته أن يتقلد خطة الوزارة كأول يهودي نال هذا المنصب و المكانة السامية بالأندلس و قد تحدث عن ذلك ابن عذاري حيث قال: "فأمضى وزيرا له وكاتبا إسماعيل بن النغريلة اليهودي على وزارته وكتابته و سائر أعماله، ورفعه فوق كل منزلة.[2]

وقد عزا عبد الله بن بلقين تقريب حبوس لوزيره وكاتبه ابن النغريلة إلى خصاله التي اشتهر بها و إلى ما عرف به :"من كيس و المدارة للناس ،ما طابق الزمان الذي كان فيه و القوم الذين يرمونهم فاستعمله لذلك استيحاشا من غيره،ولما كان يرى من طلب بني عمه له ولان هذا اليهودي ذمي لا تشره نفسه الى الولاية ، ولا هو أندلسي فيبقى منه إدخال داخلة من غير جنسه من السلاطين ولاحتياجه الاموال التي يطبى بها بني عمه ويحاول أمر الملك.[3]

ويفسر رينهرت دوزي تقريب حبوس للابن النغريلة إلى أنه لم يكن من التيسير على أمير غرناطة أن يجد له حاجبا فالواقع أنه لا يستطيع أن يكل هذا المنصب الخطر إلى احد من البربر أو العرب ،لأن القوم في تلك الأيام كانوا يميلون لأن يكون الوزير أديبا كبيرا حتى يضع الرسائل التي يبعث بها الأمير إلى غيره من الأمراء،وتلك الرسائل كانت تكتب في النثر المسجوع و بأسلوب بالغ الروعة ،وكان أمير غرناطة أشد القوم اهتماما بالكفاءات من هذا القبيل ،كما أنه هو نفسه لا يستطيع أن يعهد بوزارة إلى العرب الذين كانوا لا يرون عارا أن يخونه أو يسقطوه.[4]

وكما يشير دوزي أيضا أنه لم يحدث في أية إمارة أخرى ما يحدث في غرناطة من أن يباشر الوزارة رجل من اليهود و يلعب بالأمير على رغم من أنه طالما حظي اليهود بالقرب من بعض الحكام المسلمين الذين كانوا يؤثرون أن يوكلوا إليهم إدارة الشؤون المالية على وجه الخصوص ، لكن لم يحدث قط أن بلغ التسامح إلى الدرجة التي يوكل فيها منصب الحجابة إلى أحد اليهود فإن صح ذلك لا

---

[1] ابن بلقين ،مصدر سابق، ص 32.

[2] ابن عذاري ، مصدر سابق ،ج3،ص،264.

[3] ابن بلقين ، مصدر سابق،ص،31،32.

[4] رينهارت دوزي ، مرجع سابق ،ج3،ص،23.

يصح ذلك إلا في غرناطة التي كانت زاخرة باليهود حتى تآلف الناس على تسميتها "بمدينة اليهود" الذين طالما تدخلوا في شؤون الدولة يساعدهم على ذلك ما هم عليه من الثراء و القوة البالغة.[1]

ويعتبر حاييم الزعفراني أن اسماعيل بن النغريلة جمع بين الولاء لأمير غرناطة ووفائه لأصوله اليهودية ،فقد عرف بتفانيه وإخلاصه في القيام بالمهمات و المسؤوليات المدنية و العسكرية التي أنيطت به كما عرف أيضا بوفائه لعقيدة أسلافه معتزا بيهوديته و استطاع أن يجمع بين المعارف اليهودية و العربية ،أي بين الأديب العربي و الكتابات التلموذية[2].

ولما مات حبوس حدث خلاف بين ولديه ماكسن و باديس على الإمارة، وناصر ابن النغريلة باديس على حساب أخيه الأكبر ،واستطاع باديس التغلب على ماكس و تولى الإمارة فما كان منه إلا أن رد الجميل لإبن النغريلة، وعينه وزيرا مسؤولا عن شؤون الإمارة الداخلية.

حافظ إبن النغريلة على مكانته السامية في دولة بني زيري بغرناطة حتى وفاته رغم ذلك لم يسلم من النقد وإثارة مشاعر المسلمين الذين رفعوه إلى المنصب الرفيع فقد بلغ حد الإجتراء والتجاوز على الدين الإسلامي و تطاول عليه و على المقدسات كما أظهر أيضا عداه للمسلمين.

ويرى ابن بسام الشنتريني أنه: "ألف كتابا في الرد على الفقيه ابن حزم وجاهر بالكلام في طعن على ملة الاسلام فما دفع عن ذلك بتأنيب و لا أستطيع تغييره عليه إلا بالقلوب.[3]

ترك تقريب حكام المسلمين لليهود أثر كبير في نفس ابن حزم الذي عبر عن غضب ممزوج بمرارة شديدة من استخدام بني الزيري بغرناطة لليهود في عصر ملوك الطوائف و تقريبهم بقوله: "أن املي لقوي ، وأن رجائى مستحكم في أن يكون الله تعالى يسلط على من قرب اليهود و أدناهم وجعلهم بطانة وخاصة ،ما سلط على اليهود وهو يسمع كلام الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ

[1] رينهارت دوزي ، مرجع سابق ،ج3،ص،22.

[2] حاييم الزعفراني ، مرجع سابق ،ص،101.

[3] الشنتريني ،مصدر سابق ،ج1،ص،766.

ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾[2]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾[5]

وعلى رغم مما ورد في تلك الآيات من بيان شديد تضمنت تحذيرا من موالاة اليهود وتقريبهم فإن الحكام أعرضوا عنه لإعتقاده بالحاجة لاستخدام اليهود في جمع الضرائب و تسيير شؤون الحكم ،ويضيف ابن حزم عن أعراض الحكام قائلا: "فمن سمع هذا كله ثم أدناهم و خالطهم بنفسه من ملوك الإسلام ،فإنّه إن شاء الله تعالى أن يحيق الله عز وجل به ما أحاق بهم من ذلة ومسكنة و الهوان والصغار و الخزي في الدنيا سوى العذاب المؤلم في الآخرة"[6].

ولم يسلم ابن النغريلة من غضب بني قومه من اليهود ،فقد وجهوا إليه سهام نقدهم من ذلك ما أشار إليه ابن بسام بقوله:"و اليهود مع ذلك تتشاءم باسمه ،وتتظلم من جور حكمه على ما كان

---

[1] سورة المائدة الآية **52**.

[2] سورة آل عمران، الآية، **118**.

[3] سورة الممتحنة الآية **01**.

[4] سورة المائدة الآية **57**.

[5] سورة المائدة،الاية،**84**.

[6] ابن حزم ،رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس،ج3،مؤسسة عربية للدراسات و النشر ، بيروت،ط2،1987،ص67.

قد رضخ لهم من الحطام ووطأ لهم من مراكب العظام،و هو مع ذلك متماد في غلوائه ، غافل عن عادة الله في نظرائه فغضب يهود أحكامها و ذلل أعلامها."[1]

إن سياسة التسلط و التحكم التي إنتهجها الوزير إبنالنغريلة جعلت بعض المنافقين والمتملقين يسعون لكسب وده و رضاه طمعا في صلاته ذلك لما عرف من مبالغة في العطف على الشعراء وأهل الأدب عامة حيث أجزل لهم العطايا و الهبات مقابل مدحهم و إشادتهم بخصاله[2] ومن أولئك الشعراء المسلمين الذين تملقوه و سألوا عطاياه ابن خيرة القرطبي المعروف بابن المنفتل الذي مدحه في قصائده عدة منها:

قرن الفضائل و الفواضل فشأى الأواخر و الأوائل

سقطوا برفعة فضلـــه كالشمس في شرق المناقل

هذا ابن يوسف الذي ورث الفضائل عن الفواضل

شرف الزمان بمثلـــه شرف الأسنة بالعوامل

لم يلد بحبنا بـــــــه لم يأمن الدهر المخاتل

متقلد سيف العـــلا والمكرمات له حمائل[3]

كما يقول المنفتل أيضا من قصيدة يمدح فيها الوزير إسماعيل ابن النغريلة و ذوي المناصب من يهود غرناطة:

بدور ولكن أمنا أسرارهـــــــا بحور و لكن لا نرى دونها برا

غيوث إذا ما الحل شب ببلـدة كهوف إذا جاءت بنا أرضه الكبرى

يخالون من فرط الحياء أذلـــــة ترتج أحشاء الملوك لهم ذكرا

---

[1] الشنتريني ،مصدر سابق ،ج1،ص،767،766.

[2] دوزي ، مرجع سابق،ص23.

[3] الشنتريني، مصدر سابق ،ص،763،762.

ومن لم يك للنظم و النثر محسنا فإن نداهم علم النظم و النثر[1]

من الشعراء المسلمون الذين مدحوا الوزير ابن النغريلة نذكر الأخفش بن ميمون القبذاقي المكنى بإبن الفراء لقوله:

أهوى الذي تيمنى حبه وما درى أني أهواه

أكاد أفنى من غرام بـه لا سيما ساعة ألقاه

والله ما تذكرني ساعـة لا وحق الله أنساه[2]

أما من شعراء اليهود الذين نظموا قصائد في مدح إسماعيل ابن النغريلة فاشهرهم إبنجبيرول الذي قال فيه قصيدة بالعبرية مطلعها :

من ذا يشبه الفجر إذا انفلق

و ينير كشمس مشرقا جليا

ذو مجد و ذو شرف كالأمراء النبلاء[3]

استمر ابن النغريلة في منصب الوزارة بني زيري في غرناطة إلى أن وافته المنية سنة 448هـ/1056م ،فحزن لموته يهود الأندلس و الخارج وأقاموا صلواتهم عليه، وأرسلوا التعازي إلى اسرته ،وكتب حبر اليسانة إبراهيم بن غياث قصيدة طويلة لرثائه ألقاها خلال القداس المقام على روحه ويفهم من كلام لابن عذاري بأن الوزير ابن النغريلة استمر في مكانته حتى مات و ذلك لقوله :"فدام أمره كذلك إلى أن هلك ،و ترك إبنا له إسمه يوسف."[4]

---

[1] الشنتريني ،مصدر سابق، ص، 764.

[2] محمد بحر، مرجع سابق، ص، 42.

[3] نفسه، ص، 42.

[4] ابن عذاري، مصدر سابق،ج3،ص،264.

2-2-1-2-يوسف بن إسماعيل بن النغريلة:

ورث يوسف ابن اسماعيل بن النغريلة تركة أبيه في السياسة ،فقد خلفه في منصب الوزارة بني زير ابن حبوس و بلغ مبلغا عظيما في غرناطة فقد تصرف في شؤون الحكم وأمور السياسة وإدارة المال وتعاظم نفوذه و طمعه في السلطة فارتفعت مرتبته و علا شأنه في ذلك العصر، و لتدليل على ذلك نصا لابن بسام يصف فيه يوسف ابن النغريلة في احدي زيارته لقرطبة فيقول: "أخبرني من راه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدمتاه عليه لبعض تلك الشؤون المظلة و الفتن المصمئلة قال المحدث: فرأيته مع باديس فلم أفرق بين الرئيس و المرؤوس، تشابهت المناكب و الرؤوس"[1].

ولقد تحدثت المصادر الإسلامية عن نفوذ الواسع الذي حظي به الوزير يوسف ،وفي الواقع كان له من السلطان فوق مكان للأمير باديس نظرا لسيطرته التامة على باديس ،فقد أورد ابن الخطيب نصا بالغا للدلالة يقول فيه عن تحكم يوسف: "وعظم الإستلاء اليهودي وزير باديس إلى أن طرق جاهة الإعتلال أسرع إلى حالة الاختلال، وكثرت فيه الأقوال."[2]

كما تحدث ابن عذاري أيضا عن اتساع نفوذ الوزير يوسف و تحكمه في مجريات الحكم بغرناطة لقوله: "فأخذ نفسه بالاجتهاد في الحوال و استخراج الأموال، واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال ،فازدادت منزلته عند أميره باديس وكانت له عيون عليه في قصره ،من نساء و فتيان شغلهم الملعون بالإحسان إليهم و الإنعام عليهم فكان لا يخفى عليه شيء من أمور باديس من كل ما يجري في منزله من شراب و لهو وجد وهزل إلا و يعلمه و يعلم اليهود به، فلا يكاد باديس يتنفس إلا ويعلم اليهودي بذلك."[3]

ولم تكن ليوسف ابن النغريلة كياسة أبيه في مصانعة المسلمين وتودد إليهم فاستثار سخطهم عليه و كان المتكلم بلسانهم في هذه الخصومة الفقيه أبو اسحاق الإلبيري بسبب سخطه وغضبه لأنه

---

[1] الشنتريني ، مصدر سابق، ج1،ص،467.

[2] لسان الدين ابن الخطيب السلماني ،أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام،تحقيق،ليفي بروفنسال،ط2،دار المكشوف لنشر،بيروت،لبنان،1956،ص،231

[3] ابن عذاري ، مصدر سابق، ج3،ص،264،265

لم يدرك في بلاط غرناطة المركز الذي كان يرى نفسه أهلا له ،و زاد من غضبه أن الوزير يوسف أمر بنفيه من غرناطة فنظم قصيدة يهجوا فيها يوسف ،و يؤلب المسلمين على الثورة ضده وضد اليهود[1].

تعتبر القصيدة التي كتبها الفقيه ابو اسحاق الإلبيري صورة شاهدة على واقع اليهود في غرناطة حيث تمتعوا بالنفوذ و الجاه من خلال تغلغلهم في الوظائف الحساسة اثناء خدمتهم لحكام غرناطة ،فلم يفوتوا الفرصة للتمكن و التحكم في السلطة و المال لم يكن اليهود مخلصين للسلطة الإسلامية فعلى رغم من التسامح الذي تمتعوا به في ظل الدولة الاسلامية ،ورغم الاموال الطائلة التي جمعوها ونفوذ وجاه ومكانة التي وصلوها فإنهم لم يكونوا على قدر الثقة و المسؤولية التي أولاها إياهم الحكام المسلمون فقد استغلوا الفرصة للسلطة و التآمر على المسلمين وهو ما أثار النقمة ضدهم.

فقد حفلت تلك القصيدة بالتحريض و الإثارة ضد الوزير يوسف بن النغريلة و اليهود عامة لما عرف عنهم من تسلط على المسلمين ،وكانت القصيدة التي نضمها الفقيه الأندلسي ابو الإسحاق الالبيري أثر كبير في تحريض و تأليب المسلمين ضد اليهود ،وتنبيههم إلى غطرسة الوزير إسماعيل بن النغريلة و تسلط فئة صغيرة من اليهود على المسلمين.

لقد أغرت تلك القصيدة أهل غرناطة على اليهود انتقاما من الوزير اليهودي الذي استولى على حكم باديس وأثرى على حساب المسلمون إستاء الفقيه أبو اسحاق الإلبيري من وجود اليهود في غرناطة ، فقد انتشروا في كل مكان منها و تولوا جميع الأعمال ، واستولوا على الأموال ،وتزينوا بأجمل الملابس وسكنوا أبهى الدور و القصور وسخروا من المسلمين ومن دينهم .

وجه الفقيه أبوا اسحاق حديثه إلى صنهاجة حيث أثر في نفوسهم حماسة الإنتقام ،ويقول في نونيته الشهيرة:

ألاّ قل الصنهاجة أجمعين بدور الزمان و أسد العرين

مقالة ذي مقة مشفـــق يعد النصيحة زلفى و دين

لقد زل سيدكم زلـــــة تقرب بها أعين الشامتين

[1]أنخل جنثالث بالنثيا ،تاريخ الفكر الأندلسي ،ترجمة :حسن مؤنس ،الهيئة المصرية ،العامة للكتاب،2011،ص 135.

إلى أن يقول في آخرها:

ونحن الأذلة من بينهم كأن أسأنا وهم يحسنون

فلا ترض فينا بأفعالهم فأنت الرهين بما يفعلون

وراقب إلهك في حزبـه فنحن الإله هم المفلحون[1]

وكانت القصيدة وقع كبير في غرناطة ،فقد ألهبت عواطف المسلمين سخطا على اليهود ،إذا لم يكونوا بحاجة لأبسط جهد في تأليبهم وإثارتهم ضد اليهود بسب ما عانوه من ظلمهم و تحكمهم في ذلك العصر تركت هذه القصيدة أثرا كبير في نفوس العامة ضد اليهود فتواثبوا بهم و نهبوا ديارهم، وقتلوا من ظفروا منهم ،ولم يسلم الوزير ابن النغريلة من هذه الثورة فداهمته العامة و قتلته سنة،459هـ/1066م.

بالإضافة إلى اسماعيل بن النغريلة وابنه يوسف استطاع أن يصل الى منصب الوزارة من اليهود أبو الفضل ابن يوسف بن حسداي وذلك في دولة بني هود بسرقسطة[2].

وقد تناولته المصادر الإسلامية كأديب فاهتمت بذكر نماذج من شعره ونثره وبراعته في العلوم كالهندسة و النجوم و الموسيقى و المنطق و الطبيعيات... وغيرها ،في حين أهملت وظيفته السياسية.

ويروي ابن بسام أن:" أباه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود فنجم بأفق سرقسطة في ذرا دولة ابن هود،وكان له في الأدب باع بما حمل من أعباء تلك الدولة استقلال واضطلاع."[3]وقد وردت عدة إشارات لمكاتبات و المراسلات في الذخيرة يمكن من خلالها اعتناق الوزير أبي الفضل الإسلام في أواخر أيامه ،فقد تحدث ابن بسام عن ذلك بقوله:" فصل له من برقعة خاطب بها يوسف الاسلامي."[4]

---

[1] ابن الخطيب ،أعمال الاعلام ،233،231/أحمد محمد المقري التلمساني، مصدر سابق،ص322./ النخل جانثالث، مرجع سابق،،ص،108./محمد بحر مرجع سابق، ص44.

[2] محمد بحر، مرجع سابق، ص، 70.

[3] الشنتريني ،مصدر سابق ،ج3،ص،458،457

[4] نفسه، ص،499.

ويذكر ابن بسام أيضا بأن الدوافع دخوله الإسلام تعود إلى تعلقه بجارية كانت سبب في دخوله الإسلام حيث يقول: "وذهبوا أن جارية ذهبت بلبه وغلبته على قلبه فجن بها جنونه وخلع إليها دينه وعلم بذلك صاحبها فزفها إليه ،ووضعها بين يديه،فتجافى عن موضعه من وصلها أضيع ما كان بين دلالها ودلها أنفة من يظن الناس أن إسلامه كان من أجلها فحسن ذكره وخفى على الناس كثير من أمره"[1].

وفي إطار الحديث عن خدمة اليهود و توليهم وظائف سياسية و إدارية نذكر أسرة من اليهود ذائعة الصيت بالأندلس ، أسرة ابن عزرا ،فقد شغل عدد من افراد هذه الأسرة مناصب سامية خلال أجيال في الممالك والإمارات الإسلامية حتى منتصف القرن الثاني عشر ميلادي، فاضطر فيما بعد أحد أفراد هذه الاسرة و يهود ابن عزرا إلى هجرة نحو الشمال ليعمل في بلاط ملك قشتالة المسيحي ،و ذلك بعد وصول الموحدين إلى السلطة في الاندلس .[(2)] لقد حصل اليهود على وظائف هامة خلال عصر ملوك الطوائف ،ففي إمارة غرناطة مثلا كان أغلب العمال من الطائفة اليهودية ،فقد أشار عبد الله بن بلقين إلى ذلك بقوله." و لأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة و العمال إنما كانوا يهودا.[(3)]" كما تولى أيضا وظيفة المكوس في دانية رجل من اليهود ،إذا يذكر السلفي أن أبا حفص العروضي مر بدانية فطولب بمكس كان يتولاه يهودي فغضب لذلك و استنكره و نظم لذلك الابيات التالية:

يا أهل دانية لقد خالفتـــــم	حكم الشريعة و مروة فينا
مالي أراكم تأمرون بضدهـــا	أمرت به ترى نسخ الاله الدنيا؟
كنا نطالب اليهود بجزيـــــة	و أرى اليهود بجزية مطالبونا
ما إن سمعنا مالكا أفتى بـــذا	لا ولا من بعده سحنونا
هذا ولو أن الائمة كلهـــــم	حاشاهم بالمكس قد طالبونا

[1] الشنتريني ،مصدر سابق ،ص، 458.

[2] حاييم الزعفراني، مرجع سابق،ج1،ص،47.

[3] ابن بلقين ،مصدر سابق،ص،32

ما واجب مثلي بمكس عد له لو كان يعدل وزنه قاعونا

ولقد رجونا أن ننال بمدحكم رفدا يكون على الزمان معينا

فالإن نقنع بسلامة منكـــم لا تأخذوا منا ولا تعطونا[1]

إن تحكم اليهود في عصر ملوك الطوائف يعود بأساس إلى ضعف الحكام المسلمين وحاجاتهم للموارد المالية ، فكان الاعتماد على اليهود كبير في ذلك العصر مما سمح بالإطلاق يدهم في التصرف بالشؤون العامة لدولة الاسلامية ، ومن المفيد هنا إثبات نص بالغ الدلالة عبر عنه ابن حزم عن امتعاضه من سلوك ملوك الطوائف عندما أكلوا أمور المسلمين لليهود و بذلك قوله: "مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية و الضريبة من أهل الاسلام معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ،غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيهم"[2].

أما في عهد المرابطين فقد تقلص نفوذ اليهود و تسلطهم على الناس فعملوا على إبعادهم عن شؤون الحكم و الإدارة ،فلا نجد في ثنايا المصادر الإسلامية أي إشارة لتولية اليهود في المناصب السامية ،إلا ما كان من استخدم الأمير عمر بن علي بن يوسف بن تاشفين لكاتب يهودي كان مكروها من مسلمي غرناطة الذين كانوا قد قادوا في السابق ثورة ضد اليهود سنة 459هـ/1066م.

ويشير ابن عذارى إلى ذلك بقوله:" وكان له كاتبا يهودي الأعراق و الأخلاق يبغض الناس ويبغضونه، أشأم قسمه على نفسه و رئيسه ومن اتصل به ،فبدا بشؤمه أميره يناله، فجر إليه العزل وأورده السجن ،وأداه إلى الهلكة ،وغدا شؤمه عليه فاستؤصل ماله و نهبت داره، وطلب ليوقع به، ففر و هلك بعد ذلك، وكان شقر أزرق دميم الخلق في وجهه خال"[(3)].كما استخدم المرابطون أيضا موظفين من اليهود كانوا موكلين بتحصيل الضرائب إذا يقومون بجمع المكوس من المسلمين والنصارى وكانوا بذلك أداة بيد الموظفين وكانوا يوجهونهم وفق أهوائهم وجشعهم، حيث لم يمارس المرابطين اتجاه اليهود سياسة التشدد بل اتسمت سياستهم بالتسامح و الإنصاف ،ولتدليل على ذلك يكفى أن

---

[1] السلفي صدر الدين أحمد بن مُحَمَّد ،أخبار و تراجم أندلسية ،مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق عباس احسان، دار الثقافة ،بيروت،ط2،1399هـ/1979م،ص38،39

[2] ابن حزم، مصدر سابق،ج3،ص،173

[3]ابن عذاري ، مصدر سابق،ج4،ص77

نشير إلى الحادثة الشهيرة بغرناطة حيث شكا معاهدة غرناطة إلى الأمير المرابطي علي بن يوسف من ظلم ابنه عمر بن علي فأمر بمجيئه و أنصفهم منه[1] .

[1]ابن عذاري ، مصدر سابق،ج4،ص78

3- المهام الدبلوماسية التي شغلها أهل الذمة

لقد أجاز الشارع الإسلامي الإستعانة بأهل الذمة و استعمالهم في بعض وظائف الدولة دون الولايات العامة كالخلافة و وزارة التفويض و القيادة العامة للجيش ، كونها وظائف مشروطة بالإسلام المكلف.

وفي الأندلس لم تذكر المصادر الاسلامية و لا نصرانية معلومات وافية حول الوظائف الرسمية التي شغلها الذميون في ظل الدولة الإسلامية، ولم يوجد بين أيدينا سوى بعض الإشارات المتناثرة هنا و هناك من حالات فردية تولى فيها ذمي عملا رسميا لخليفة مسلم مع بقائه على يهوديته أو نصرانيته، وربما كان السبب ذلك الأمر إلى حساسية المجتمع الإسلامي و أفراده أن يتولى مشركا أمرا من أمور دنياهم .

ويذكر لنا ابن القوطية خبرا بأن مُحَمَّد[1] (238-273هـ/852-886م) أمضى رجال أبيه على الوزارة، وعلى الكتابة عبد الله بن أمية بن يزيد[2] نحو عامين، فمرض فلم يتمكن من الركوب إلى الأمير أعواما أقام فيها الأمير قومس بن أنتنيان النصراني للكتابة، وعاب عليه الوزير هاشم بن عبد العزيز[3] استعماله لذلك النصراني قائلا :" إن من أعجب العجب أن يبلغ خلاف بني عباس في المشرق أن بني أمية بالمغرب اضطروا في كتاباتهم العظمى و قلمهم الأعلى أن يولوا قومس النصراني ابن أنتنيان بن يليانة النصرانية"[4] فقال الأمير مُحَمَّد :"لو أن قومس كان مسلما ما استبدلناه."[5]

---

[1] خامس أمراء بني أمية.

[2] هو عبد الله بن امية بن حوثرة مولى معاوية بن يزيد ين عبد الملك، بيت الكتابة بني مروان بالأندلس، تناسق بعبد الله ثلاثة منهم ما بينه وبين جده أمية بن يزيد كاتب عبد الرحمان الداخل توفي سنة 240هـ/854م). أنظر: ابن حيان القرطبي ،المقتبس من أنباء أهل الأندلس ،حققه محمود علي مكي، د ط ،القاهرة ،1415هـ/1995م،ص،170.

[3] هاشم بن عبد العزيز: أخو القاضي اسلم عبد العزيز معروف بفضله وأدبه. أنظر: الضبي،المصدر السابق، ج2، ص652.

[4] ابن القوطية ،تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق، إبراهيم الأبياري،دار الكتاب المصرية،1410هـ/1989م،ط2، ص،96

[5] نفسه، ص، 95

ومن وظائف الذميين في الأندلس وظيفة فرض الضرائب ، حيث ولى الحكم الربضي (180-206هـ/796-822م) القومس ربيع بنو توديلفو أمر الضرائب على العامة المغارم[1] على المسلمين ويبدو أن ربيعا كان ظالما متجبرا على الناس متعديا على حقوق الرعية مما أثار العامة ضده وعلى الأمير الحكم،فكان ذلك من أسباب الربض في قرطبة،[2]كما كان للحكم نفسه مغني يهودي اسمه أبو النصر منصور حظي بثقة الأمير فبعثه إلى بغداد رسولا إلى المغني زرياب [(3)]المشهور يستدعيه للقدوم لبلاطه في الأندلس حيث نجح منصور في مهمته.

وتعتبر خطة الوزارة من أهم الوظائف التي شغلها الذميون إطلاقا، ففي عهد عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م)تولى يحيي بن إسحاق طبيب الوزارة، وهو من أصل نصراني و كان ذلك سنة 310هـ/923م و قبل ذلك عينه على الشرطة الصغرى[4] وفي عام 302هـ-914م أضاف إليها خطة الرد فجمع بينهما .

وفي عهد الخليفة عبد الرحمان بن الناصر(300-350هـ/912-961م)سطع نجم الطبيب اليهودي أبو إسحاق حسداي بن شبروط و أصبح خليل الناصر و نديمه ، حيث أنه ولاه إدارة المالية من المحتمل تكون إدارة الجمارك و أضاف إليها فيما بعد خطة الكتابة.وعندما تفاقمت فتنة المستعربين وازدادت مخاطرها غضب الأمير عبد الرحمان الناصر على النصارى وطرد من قصره جميع المستخدمين منهم ، وهناك عدد من الوظائف التي حضر على الذمي أن يتولاها، منها الخدمة في الجيش الإسلامي مع العلم أن في الممارسة كان هناك العديد من النصارى كالمرتزقة، ففي عصر الخلافة

---

[1]هي وظيفة يفرضها الحاكم على الناس وقت الحاجة، أو كعقاب لهم على أمور ينكرها عليهم ولهذا تسمى مغارم سلطانية، وتدفع عينا ويبدوا ان أهل الأقاليم الواحدة يتحملون جمع قيمتها ،ومن ذلك ما ذكره ابن عذارى انه ألغى الحكم المستنصر هذه المغارم عن جميع كور الأندلس. أنظر : ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص، 249 .

[2]ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ،ص،15.

[3] هو الحسن ابو علي بن نافع لقب بزرياب تشبيها بالطير لسمرة بشرته و بيان لسانه و حلاوة شمائله، كان شاعرا موهوبا و تلميذا نابغا لإسحاق الموصلي مغني هارون الرشيد. أنظر: المقري، المصدر السابق، ج3، ص، 122./ خير الدين الزركلي ،الأعلام، ج3،دار العلم للملايين ،بيروت، لبنان ،2002،ط15،ص،28

[4] وهي احدى مراتب خطة الشرطة الي جانب كل من الشرطة العليا و الشرطة الوسطى وظهرت هذه المرتبة 317هـ-930م وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله أول من تولاها كان سعيد بن سعيد بن حدير . أنظر: مُحَمَّد عبد الله عنان ،دولة الاسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، عصر الأول ،القسم الثاني، مكتبة الخانجي لنشر،1997،ط4،685.

أصبحت مشاركة في الجيش أمرا عاديا، فاستكثر المنصور أبي عامر منهم، وعندما كان يحدث نزاع بين نصراني وبين مسلم من جنوده فإنه عادة ما كان ينتصف للنصارى.[1]

ولعب أهل الذمة دورا هاما في النشاط الدبلوماسي خلال حكم بني أمية في الأندلس ، حيث كلف الأمويون العديد من المستعربين و اليهود في مهمات دبلوماسية و بسفارات رسمية و غير رسمية إلى ملوك وحكام الممالك النصرانية المجاورة ، حيث أن أمراء قرطبة كانوا يختارون لسفاراتهم المختلفة مع أروبا و بيزنطة نفرا من المستعربين سواء من النصارى و اليهود الذين صقلتهم التجارب ،وتمرسوا على أرفع أسلوب من الدبلوماسية، وحذقوا الحوار السياسي و الدبلوماسي في العلاقات الدولية ففي عام(347هـ/958م)[2] فبعث الخليفة عبد الرحمان الناصر حسداي بن شبروط بمهمة دبلوماسية وعلاجية إلى الملكة طوطة حاكمة نفارة ،وكان ذلك ردا على سفارتها التي وفدت إلى قرطبة طالبة المساعدة من المسلمين لاسترداد عرش ليون إلى حفيدها شانجة السمين وعلاجه من السمنة الفارطة التي عانى منها و كانت السبب المباشر في خلعه و تولية ابن عمه أوردينو الرابع مكانه.

ولقد نجح حسداي في إبراء شانجة من علة وأقنع الملكة طوطة في حضور إلى قرطبة في صحبة ابنها غرسية وحفيدها شانجة للقاء الخليفة الناصر شخصيا، وفي عام (328هـ/941م) تمكن حسداي من إتمام مهمة دبلوماسية أخرى كلفه بها خليفة الناصر إلا وهي عقد السلم مع صاحب جليقية "رذمير بن أردون " على الشروط التي ارتضاها الناصر لدين الله .

وكان من أمور جهود حسداي بن شبروط الدبلوماسية وخدماته السياسية أن تبارى شعراء اليهود بالإشارة فقال أحدهم مادحا حسداي:

طأطئ إلهام أيها الجبل فهذا شيخ هوذا حيالك
و لتمتلئ جميع الأفواه بالضحك و الفرجة
ولتغن الأرض الجدباء ولتبتسم
الصحراء و لتزهر الورود[3].

---

[1] عبادة كحيلة، مرجع سابق، ص، 161

[2] دوزي ، مرجع سابق،ج2،ص،51

[3] نفسه، ص 52،53.

المبحث الثالث

المعاملات القانونية الأهل الذمة

1: القضاء عند أهل الذمة

2: أحباس أهل الذمة

1- القضاء عند أهل الذمة

يعتبر القضاء أحد الأعمدة الثلاثة التي تتحكم في أي مجتمع كان، فهو منصب الفصل في الخصومات بين الناس "حسما لتداعي و قطعا للنزاع"، وهي خطة دينية تتمتع في جميع أنحاء العالم الإسلامي بهيبة كبيرة[1].وينظر الى متقلدها بعين التقدير و التبجيل، إضافة الى أنها نيابة عن أمير المؤمنين بتولي سلطاته القضائية[2]، و الجلوس للحكم بين المتخاصمين بتوقيعاته،ومن هناك فلقد اهتم الحكام و الخلفاء بهذه الخطة وتخيروا لها الشروط و المواثيق المحكمة في من يتولاها حرص على صلاحها و لإستتباب أمورها.

كان القضاء الأندلسي على مراتب و درجات ،حيث و جد في المجتمع أكثر من قاض في وقت واحد فهناك قاضي القرية أو المدينة وهو من يتولى القضاء في الحواضر و مراكز الكور و المدن الكبرى و أعلى مراتب القضاء رتبة قاضي الجماعة[3]، وهو متقلد خطة القضاء في العاصمة قرطبة[4]ويقابله قاضي القضاة في المشرق الإسلامي.

ومن أنواع القضاء في الأندلس قضاء أهل الذمة، و هو الفصل في الخصومات و النزاعات بين النصارى و اليهود وفق شريعته وقوانينه الخاصة، و لقد ترك الشرع الإسلامي في سماحته و مرونتة حق القضاء بين أهل الذمة لرجال من طائفتهم، وأنيط بهم تدبير أمورهم بأنفسهم.

---

[1] المقري، مصدر سابق، ج1، ص، 2170، 218.

[2] نفسه، ص، 218

[3] وكان قبل ذلك يسمى قاضي الجند ،وذلك أنه كان يقضي بين الجند، وأول من تلقب بقاضي الجماعة هو يحي بن زيد الذي شهد عقد أمان يوسف الفهري مع عبد الرحمان الداخل بعبارة و ذلك بمحضر....يحي بن زيد قاضي الجماعة. أنظر: ابن عبد الله مُحَمَّد بن حارث بن أسد الخشي القيرواني الأندلسي ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ،مكتبة الخانجي لنشر، القاهرة ،1953،ط1،ص،28

[4] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس ، سماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا ، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، دار الأفاق لنشر، بيروت، 1983،ط5،ص21.

1-1-قاضي العجم:

وكان يساعد القومس في مهمته قاضي العجم أو قاضي النصارى ،وكان يسمى يودكس ويعين هذا القاضي من طرف القومس كان مقره قرطبة ،على أن يعين بدوره قضاة النصارى للكور.

وخلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي وجد في قرطبة قاضي كبير أو قاضي نصارى الاندلس ،وهو جعفر بن البرأحد احفاد أرطباش بن غيطشة ووليد بن خيزوران قاضي نصارى قرطبة وكان هؤلاء القضاة ينظرون في قضايا المثارة بين النصارى وفق القانون القوطي القديم المسمى باللاتينية (forum judicum أو les judcum) و لا يتقاضى المستعربون أمام القضاة المسلمون إلا إذا اشتد الخلاف بين المتخاصمون منهم ،وطالت المحاكمة بينهما فانهما يضطران إلى عرض قضيتهما امام قاضي مسلم[1].

وإذا كانت القضية بين المسلم والمستعرب فإنها تعرض كذلك على قاضي مسلم وإذا تعلق الأمر بقضية بعقائدية كأن يقوم نصراني بسب الدين الإسلامي أو سب الرسول ﷺ أو ادعاء فضيلة من فضائل الأنبياء ،فإنه يمثل أمام قاضي مسلم مثل النصراني الذي اعتقد أن له فضيلة من فضائل عيسى عليه السلام فقدم أمام القاضي اسلم بن عبد العزيز[2]، وإلى جانب قاضي العجم كان يساعد القومس في مهمته موظف آخر ، وهو: مستخرج خراج اهل الذمة [3]: أو ما يعرف بقومس الخزينة وهو العريف المكلف بحساب الخزينة ومهمته مراقبة وجمع الجزية و المغارم.

ولقد عرف قاضي النصارى بالأندلس بقاضي العجم وممن تولى هذا المنصب حفص بن ألبر و الوليد بن خيزون[4] وأصبغ بن عبد الله بن نبيل .

---

[1] محي الدين صفي الدين ،المستعربون ودورهم في تاريخ الاندلس ،138-483هـ/755-1090م،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة الاندلس ،اشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران،2008/2007م ص 83.

[2] القاضي اسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن عبد اله بن الحسن بن الجعد بن اسلم بن الجعد بن عمرو، مولى عمرو بن عثمان بن عفان 240/239 ولي قضاء الجماعة بالأندلس لعبد الرحمان الناصر توفي سنة 319هـ . أنظر: الضبي احمد بن يحي بن احمد بن عميرة، بغية الملتمس من رجال اهل الاندلس ،دار الكتاب العربي ،1968م ص 240،239.

[3] حسن مؤنس، مرجع سابق، ص 493

[4] شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ،حققه إبراهيم الأبياري ، ج2 ،مطبعة اللجنة لنشر، القاهرة،1940م ،د ط، ص289

1-2-القاضي عند اليهود:

هو منصب يتولى صاحبه مهمة الفصل في الخصومات من أنباء طائفته من اليهود وفق شرائعهم وقوانينهم ،وكما كانت للنصارى قوانينهم و قضاتهم كانت لليهود قوانينهم و قضاتهم كانت السلطة الإسلامية لا تتدخل في شؤونهم بل كانت للجماعة اليهودية الحق في تطبيق ما تصدره محاكمها من عقوبات وفي الحالات التي يقع الخلاف فيها بين المسلمين و اليهود كان الأمر يرفع لقاضي المسلمين[1].

فقد كان بوسع كل فرد من أفراد تلك الطائفة أن يتوجه إلى قضاء الإسلامي بدل التقاضي الخاص بطائفته من الجانب المبدئي كانت السلطة اليهودية تعتبر لجوء أحد أتباعها إلى القضاء الإسلامي سبة لشريعتها وخطيئة لا تغتفر جزاؤها حرمان الفرد من لفظه من الجماعة[2].

وعلي الرغم من ذلك التشدد تجاه التقاضي خارج أطر الطائفة وتشريعاتها ومؤسساتها فإن السلطات اليهودية قد تفهمت إكراهات وواقع الحياة اليومية ،بخاصة في مجرياتها الاقتصادية و ضرورة المعاملات التجارية ،لهذا غضت الطرف عن توجه بعض المتقاضين إلى السلطات لتسهيل محرى العدالة في الأمور المتعلقة بتحرير العقود وعقود الملكيات و الشواهد و التوكيلات و التفويض[3].

كانت الخلافات التي تقع بين اليهود يتم رفعها إلى المحاكم اليهودية، ومن أشهرمن تقلد منصب القضاء لديهم القاضي يوسف بن سهل الذي أظهر براعته في العلوم الدينية ، فعينه اليهود قاضيا شرعيا في مارس 507هـ/1123موقد استمر في ذلك المنصب حتي وفاته سنة 517هـ/1123ماي في عصر المرابطين[4].

كما تولى أيضا منصب القضاء لليهود في قرطبة أيضا القاضي أبو عمر يوسف بن الصديق وذلك سنة 543هـ/1148 [5].

---

[1]حسن مؤنس، مرجع سابق، ص546.

[2]حاييم الزعفراني ،مرجع سابق،ج1،ص 36.

[3]نفسه، ص36.

[4]مُحَمَّد بحر عبد المجيد، مرجع سابق، ص67، 68.

[5]نفسه، ص، 68.

وعلى الرغم من الاستقلال الإداري و التشريعي للطائفة اليهودية في الأندلس فان بعض اليهود كان يتجه إلى المحاكم الإسلامية طواعية وذلك طمعا في عدل الاسلام و إنصافه حيث لا يتناقض اختصاص اليهود بقاض من أهل دينهم مع سماحة السلطة الإسلامية لهم بأن يتقاضوا إذا هم شاءوا أمام القضاء الإسلامي وتوجد عدة أمثلة على ذلك:

أورد الونشريسي مثالا لما طرحته قاضي اليهود عند المسلمين من خلافات بين الفقهاء ،فالبعض رأى وجوب الحكم بينهما في حين ترك لهم الآخرون الخيار ،ويقول:"سئل فقهاء قرطبة عن يهودي ذكر أن امرأة طلبته ،وهي منهم عند قضاتهم بأشياء ادعتها علي أبيه، وأنه على الفعل عليه فيما طالبته به، وأن بيده سجلا لقاضي الجماعة ووثائق منعقدة بخط العربي وشهود مسلمين، وأثبت أن قضاة اليهود وفقهاءهم على عداوة مع أبيه،و أتت المرأة وزعمت أن حقها ثبت عند قضاتهم وشهودها من اليهود ،ومتى خرج نظرها عنهم بطل حقها".

فأجاب الأصبغ بن سعيد: إذ قد أتاك اليهودي راغبا في النظر له فقد وجب له النظر لاسيما ما استظهر به عندك من تقديم نظر القاضي في ذلك وعداوة الجميع لأبيه.

وأجاب ابن عبد ربه: الذي جرى به ببلادنا إذا تظالم اليهود فيما بينهم في الأموال و الحقوق ودعا أحد الخصمين منهم إلى الحكم الإسلامي وثاني إلى قضاتهم ،أن يرفعوا إلى قضاتهم[1]،كيف وطالبة تقول أن شهودها من أهل ملتهم و لا تمكنهم من الشهادة إلا عند قضاتهم ،وإنما يخير حكم المسلمين في الحكم بينهم أو يصرفهم الى قضاتهم إذا جاؤوا راضين بحكم المسلمين لقوله تعالى: " ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ ﴾[2].

ويعتبر حاييم الزعفراني حالة تقاضي اليهود أمام الشرع الإسلامي بأنها تشكل رباطا هاما في العلاقة بين المسلمين و اليهود ورغم تمتع اليهود بالاستقلالية قانونية في مجال القضاء الإسلامي ممثلا

---

[1]الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ،المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م،ج10،ص 128،129.

[2] سورة المائدة، الاية،44

في القاضي و العدول ومعاونيهما و مساعديهما بدل السلطات الربية كما جرت بذلك عاداتهم في بلاد الاسلام[1]

منح لليهود كذلك حرية الفصل في القضايا التي تشجر بينهم، ولا نكاد نعرف من زعماء اليهود سوى أبو يوسف حسداي بن إسحاق.

1-3-نماذج عن المنازعات القضائية عند اهل الذمة

وبسبب الندرة في المعلومات فإن المصادر الإسلامية و النصرانية لم تعطينا معلومات حول الفصل في قضايا و المنازعات و محاكمات تمت بين متخاصمين ذميين وفصل بها قضاة عجم في حين يوجد العديد من القضايا التي حدثت بين ذمي وبن مسلمين، وكان مرد هذه القضايا إلى قاضي المسلمين حتى يفصل بها، وذكر الونشريسي قضايا رغب مدعوها من الذميين بالمثول أمام قاضي مسلمين للحكم وفق الشريعة الإسلامية، ومنها قضية حدثت في القرن الرابع عشر هجري تتلخص في اختلاف يهودي ويهودية على التقاضي عند المسلمين أو اليهود[2]،وسئل بذلك فقهاء قرطبة فكان رأي أصبع بن سعيد[3] مُحَمَّد بن حارث الخشني أنه يحكم بينهما بحكم الإسلام لهم فيه شريعة لا حكم ومالهم فيه شريعة و حكم يردوا إلى أهل دينهم.

ومما يذكر في قضاء المسلمين في أهل الذمة ما ذكره الخشني حول سبب استقضاء الحكم الربضي(180هـ-206هـ/796-822م) لسعيد بن مُحَمَّد[4] وذلك ان ربيع القومس كان مستودع لسعيد مالا عظيما، فلما نكبه الأمير أرسل هاتفا يهتف بين الناس أنه من كان عنده لربيع مالا أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاثة أيام سفكنا دمه وأذهبنا ماله، فاستهول سعيد الأمر و أسرع إلى الفقيه يحي بن يحي يشكو ليه همه، فما كان منه إلا أن نصحه بأن لا يخفر الأمانة للحديث الشريف :"إن الأمانة تؤدي إلى البر والفاجر و الرحم توصل برة كانت أو فاجرة، و العهد يوفى البر و الفاجر" ثم

---

[1] حاييم الزعفراني ،مرجع سابق،ج1،ص 75

[2]الونشريسي ،مصدر سابق،ج10،ص،129،128

[3] هو أصبع بن سعيد بن أصبع المعروف بالحجاوي، من أهل قرطبة و يكنى أبا قاسم كان مائلا فقيها عالما برأي و كان يشاور في الأحكام توفي سنة 398هـ. أنظر:ابن الفرضي، مصدر سابق، ص، 75

[4] سعيد بن مُحَمَّد بن بشير شرجيل المغافري ، كان نبيلا فاضلا، ذو بصيرة ثاقبة وكان معينا لأبيه في تمكن العدل و مؤيدا له دور الاستقامة واضحة . أنظر: الخشني ،مصدر سابق،ص،60

ذهب و ما أن انتهى الخبر إلى الأمير بعد ذلك حتى بعث إليه آذنا يخبره عنه ما دعاك إلى ستر ما أودعك ربيع و قد سمعت ما هتف عنها الهاتف و ما أظهرته فقال للآذن: تعلم الأمير– أصلحه الله– عنى أني فعلت ذلك للحديث الذي أتى ثم نص الحديث فأنهى الفتى ذلك إلى الأمير عنه، فأوصى الأمير إلى الوزراء هذا الرجل صالح فولوه القضاء ، فكان ذلك سبب في و لايته في الفضاء [1].

و أورد الخشني قضية أخرى وهي لما مات قومس بن انتنيان طالب الوزير هاشم بن عبد العزيز من القاضي سليمان بن الأسود بالنظر في أمر ماله، وأنه لبيت مال المسلمين كون قومس مات على نصرانية، و أثار الشهادات في كل جانب،وبعد التأكد منها أرسل القاضي إلى الأمير مُحَمَّد يعلمه أنه لم يثبت عنده على القومس شيء من المكروه و جميع الشهادات الوافية معلومة لم يرد الله بشيء منها فخرج التوقيع إلى القاضي قسم مال قومس على ورثته[2].

وغيرهامن القضايا التي تبين مدى حرص القاضي المسلم على بيان الحق و الحكم بالصحيح حتى و إن كان مدعي عليه ذميا أو مشركا.

وإن حدث أن استقضى الأمير الحكم سعيدا بن مُحَمَّد لحفظه أمانة الذمي ، فإن الأمير مُحَمَّد قد عزل القاضي عمرو بن عبد الله[3] لاستخفافه في أموال ذمي، وبيان ذلك ما رواه ابن القوطية أن رجلا معروفا بالقصبي كانت له وجهة، وكان يوفده عبد الرحمان بن الحكم إلى قارلة ملك الفرنجة، و إلى ملك الروم ، فتوفى عن ثلاثة دينار ناضة (حاضره) و ترك أيتاما ،ووجب على القاضي تثقيف (تقويم) المال و تحصينه ،فلما جلب إليه وصار بين يديه فذهب المال فاتهم به أبه المكنى بأبي عمرو ، و اتهم به كاتبه حتي قال الشعراء فمما قاله مؤمن بن سعيد :[4]

لعمري لقد أزرى بعمرو و ابو عمرو ومثل عمرو بوالده بزرى

وقد كان عمرو يستضاء بنوره فأضحى أبو عمرو كسوفا على البدر.

---

[1]الخشني، مصدر سابق، ص، 61، 62

[2]نفسه، ص، 159، 162

[3]عمرو بن عبد العزيز، المعروف بالقبعة مولى عبد الرحمان بن معاوية، وهو أول من ولى قضاء الجماعة من الموالي و كان ذلك سنة250هـ وكان جميل الرأي، حسن سمت، قليل الحركات مع مهابة شديدة ومروءة ظاهرة. أنظر: نفسه، ص، 101، 102

[4] مؤمن بن سعيد، شاغرا مشهورا، كثير الشعر، ذكره صاحب كتاب الحدائق. أنظر: الضبي ،مصدر سابق، ج2، ص230.

فلما بلغ مُحَمَّد الخبر أعظمه، و ساءه ما نزل بالأيتام في مالهم لمكانة أبيهم منه ومن أبيه من قبله ، فجمع أهل العلم و شاورهم فأشاروا جميعا باستحلاف القاضي ، حاشى بقي بن مخلد[1] فإنه قال: "إن من الشماتة عند اليهود و النصارى أن نستحلف قاضيا و المأمون على فروج نسائنا و أحباسا وأيتاما ،أرى للأمير أصلحه الله أن يجبر هذا من بيت المال فصار الأمير إلى رأيه و أمر بعزله."[2]

و كذلك من صور إنصاف القضاء الإسلامي لأهل الذمة قضية أوردها النباهي في كتابه – المرقبة العليا فيما استحق القضاء و الفتيا– و كانت قد عرضت على سليمان بن أسود الغافقي عندما كان قاضيا على مدينة ماردة لعبد الرحمان الاوسط (206–238هـ/822–852م) و كان ابنه مُحَمَّد أمير على مدينة ، فاحتبس مملوكة لرجل يهودي من تجار جليقية كانت قد اعجبته و اشتط اليهودي في ثمنها، فدس غلمانه لاختلاسها من اليهودي ، وفزع اليهودي الى سليمان بظلمته، و استشهد بمن حول دار إمارة ممن عرف خبرها فأوصل سليمان إلى مُحَمَّد يعرفه بما ذكره اليهودي و ما شهد بهلديه، ويقبح عنه سوء عمله، و يسأله دفع مملوكته إليه، فأنكر الأمير مُحَمَّد ما زعمه اليهودي فأعاد القاضي إليه رسالة يقول: "إن هذا اليهودي ضعيف لا يقدر أن يدعى على الأمير بالباطل ، وقد شهد عندي قوم من التجار فليأمر الأمير بإنصافه، فلج الأمير و لج سليمان ،فأرسل سليمان إليه ثانية يقسم بالله لئن لم يصرف إلى اليهودي جاريته ليركبن دابته على فوره، ويكون طريقه إلى الأمير يعلمه بالخبرويستعفيه من القضاء.....فأشفق مُحَمَّد من ذلك ، و استجاب لرغبة القاضي و أنصف اليهودي بالإطلاق جارته."[3]

حيث أنه ترتب على قاضي المسلمين معرفة عادات و تقاليد المستعربين في الأندلس، و الحكم أحيانا بما يوافق هذه العادات و الأعراف، ومراعاة البيئة المحلية في أقضيتهم من ذلك ما ذكره الخشني

---

[1] هو أبو عبد الرحمان بقي بن مخلد من الحفاظ المحدثين وأئمة الدين و الزهاد الصالحين ورحل إلى المشرق فروى عن الأئمة الأعلام منهم الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل و أبو بكر عبد الله بن ابي شيبة ثم رجع الى الأندلس فملأها علما جما، وألف كتبا حسان منها تفسير القرآن ومصنف في الحديث مات بالأندلس سنة276هـ . أنظر: ابن الفرضي ، مصدر سابق،ج1 ،ص82 .

[2] ابن القوطية ، مصدر سابق، ص، 87

[3]النباهي ، مصدر سابق، ص،57،58.

أنه سمع مُحَّد بن لبابة[1] يقول: " حضرت وقد خاصم إلى سليمان بن الأسود رجل في فرن بناه صاحبه فأضر الدخان به و بالجيران، وهذا من الضرر يجب قطعه، فقضى سليمان بغير ذلك ،أن يجعل أنبوبا في أعلى الفرن فيخرج الدخان من أعلاه و لا يضر بذلك بمن جاوره، فكان ابن لبابة يفتى بهذا و يحمل الناس عليه."[2]

وهناك مثالا آخرا حدث في جماعة أيام الأمير مُحَّد فكثر التطاول من المفسدين فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسن بن عاصم[3] وأمر بالاجتهاد وعهد اليه بالتحفظ، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق فإذا أتى بالفاسد المقدح قال له:" أكتب وصيته و دعا له بشيوخ فأشهدهم على ما يوصى عليه، ثم صلبه ونحره، فكان بين يديه من المصلوبين عدد عظيم فأتاه نفر من جيرانهم فشكوا إليه تطاولا على ما يكون من أشرار الأحداث و هم لا يشكون أنه سيزجره الجزر القوي، وإن إفراط في عقابه في السجن فقال لشيخ منهم: ما استحق هؤلاء و أشار إلى المصلوبين فقال له إبراهيم و لأصحابه انصرفوا ثم قال للفتى :أكتب وصيتك فأجابه اتقي الله فيا فانه لم يبلغ ذنبي أن أستحق القتل و الصلب فقال له: بذلك شهد عليك الشهود فقتله و صلبه، فلما بلغ الشهود بذلك أتوه فقالوا له: لم نشهد عنك على الفتى بذنب يجيب فيه القتل فقال : أولم يقل قائلكم أنه يستحق ما استحق هؤلاء، فقالوا: له على المثل قال فإثم ذلك في رقابكم إذا لم تحسنوا الإبانة في أنفسكم ."[4]

ويعلق حسن مؤنس على أن هذين الحكمين مستقيان من جاري العرف و البيئة و القانون القوطي، فوضع المداخن أمر لم يكن معروفا في المشرق و الحكم بيه تجديدا مقتبسا من البيئة

---

[1] هو أبو عبد الله بن عمر بن لبابة، مولى عثمان بن عبد الله بن عثمان من أهل قرطبة، درس كتب الرأي ستين سنة، و كان مشاورا أيام الأمير عبد الله ، كما كان إماما في الفقه، مقدما على أهل زمانه في الحفظ و الرأي، ثم انفرد في الفتيا أيام الخليفة الناصر فلم يكن يشركه أحدا في رياسة البلد و القيام بالفتيا. أنظر: ضبي، مصدر سابق، ج1، ص،147.

[2] الخشني، مصدر سابق، ص، 106، 107.

[3] هو اسحاق بن حسن عاصم بن كعب بن مُحَّد بن علقمة بن جناب ابن مسلم بن عدى بن مرة بن عوف الثقفي ، من أهل قرطبة، يكنى ابا اسحاق ، سمع من أبيه و غيره و له رحلة سمع فيها،وتصرف في أحكام شرطة و السوق أيام الأمير مُحَّد ، توفي يوم الثلاثاء في رجب سنة سنة256هـ . أنظر: الضبي ، مصدر سابق، ج1، ص، 147.

[4] الخشني، مصدر سابق، ص، 207، 208.

الأندلسية، و قتل الحدث للذنب البسيط غير جائز في الشريعة الإسلامية و لكنه جائز في شريعة القوط.[1]

2- أحباس أهل الذمة

كان لأهل الذمة في الأندلس أحباسا ، حبست لصالح جهات عدة و كان شأنهم في ذلك شأن المسلمين ، فيذكر الونشريسي :" وكان للنصارى و المعاهدين العديد من الأحباس خاصة في غرناطة و أشبيلية و كانت موقوفة على كنائسهم ،وكان رهابين و أساقفة هذه الكنائس لا عيش لهم إلا من ريع هذه الأحباس"[2].

كما يضيف الشريف الإدريسي:" و لكنيسة الغراب الواقعة قرب مدينة شلب أحوال يتصدق بها عليها ، وإنها كانت عامرة بالقسيسين و الرهبان، و بها أموال مدخرة و أموال واسعة وأكثر الأموال محبسة عليها من أقطار الغرب و بلاده، و ينفق منها على الكنيسة و خدامها و جميع ما يلوذ بها "[3]

ومن ناحية أخرى قام بعض اليهود بحبس عقارات على أبنائهم و أعقابهم ، وكانوا يصفون الحبس و يوصون به في أعقابهم ، ولا يجوز للراهب أو الأسقف أن يخرج حبسا حبس على كنيسة أو دير عما حبس من أجله ، وذلك بيعة أو التصرف فيه ،إذ يبطل كل شأن من هذا القبيل وتبقى العين المحتبس للغرض الذي حبس من أجله كما هو الحال بنسبة لأحباس المسلمين على حد سواء.

وذكر الونشريسي قضية مفادها" أن أحد اليهود حبس دار على أحد مساجد مدينة قرطبة "[4]وذلك من الأمور التي تباينت فيها آراء الفقهاء قد أفتوا بعدم جواز تحبيس اليهود أو النصارى على مساجد المسلمين ، ولكن المالكية أباحوا الوقف على كل ما لا معصية فيه، كما أجازوا مثل الشافعية وقف المسيحي أو اليهودي على المسجد لأنه قربة في نظر الاسلام ، وإن لم يكن كذلك في نظر

---

[1] حسن مؤنس، مرجع سابق، ص، 483.

[2]الونشريسي ، مصدر سابق،ج10،ص،56،57.

[3] الإدريسي، مصدر سابق ، ص،181،182.

[4]الونشريسي، مصدر سابق ،ج7،ص،67.

الواقف،[1] ومنهم لم يجزها مثل أبو عمران القطان فأجاب :لا يجوز و خرج ذلك من المدونة في كتاب الجهاد، حين ذكر عن النبي ﷺ (إنا لا نستعين بمشرك) ثم باعه، فقال : روى عيسى عن ابن القاسم فيما باعه الأسقف من أرض الكنيسة أن ذلك له جائز إذ كانوا يؤدون ما عليهم من الجزية، و لعل من أشار بإجازة بيع حبس الكفار و رأى فسخ البيع في ذلك إنما إلى رواية أصبع عن ابن القاسم فيما باعه الأسقف من أرض الكنائس و أحباسها أن ذلك لا يجوز شراؤه لمسلم، فإنما ذلك لأن البائع هو غير المحبس فصار من باب التظالم، وقال أصبغ في ذلك: إن حاكم المسلمين لا يحكم في منع بيع ذلك و لا رده، إن بيع و لا إنقاذ حبسه و لا جوازه و لا يسعه ذلك، وحسبك بيانا أن العتق أعظم حرمة من هذا، وأن النصراني اذا أعتق عبده النصراني و لم يبين عنه لا خرج عن ملكه حتى أسلم العبد و أراد بيعه، كان ذلك له يمن منه، والذي أراه في هذه المسألة لا يجوز شيء من تحبيس اليهودي[2] و الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ".[3]

تختلف أحباس أهل الذمة في أحكامها عن أحباس المسلمين في نواحي عدة منها، أن المسلم لا رجعة له في حبسه و نقضه إذا قام بتوثيق الحبس أمام القاضي ، إما الذمي إذا ما حبس شيئا وأراد الرجوع في حبسه و نقضه أو باعه لم يعرض له و لا يحل للقاضي النظر في إنفاذه، ودليل ذلك ما أورده الونشريسي ،حيث سئل ابن عتاب عن مسلم اشترى جنانا من يهوديين و نزل فيها و حازها عشرة أعوام أو نحوها و اعتمرها، ثم حبسها بعد هذه المدة على بنيه، فإذا انقرضوا رجعت حبسا على طلبة العلم، وفي فك الأسرى و عتق الرقاب، و لتاريخ الحبس ثلاثة أعوام، وقام الآن يهودي يزعم أن هذه الجنة حبسها عليه عماه، وهما اليهوديان البائعان لها من هذا المسلم قبل التبايع المذكور،و استظهر بوثيقة تحبيس البائعين لها، قد كتبن بخط إسلاميين، ذكر فيها أن البائعين اليهوديين حبسا الجنة المبيعة على ابن أخيهما القائم، وعلى عقبه ما تناسلوا، وذكر فيها أن أحد اليهوديين المحبسين حازما حبسه من الجنة على ابن أخيه إذا كان صغيرا ، فهل تجوز أحباس اليهود؟

---

[1] كما السيد أبو مصطفى، بحوث في تاريخ و حضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مركز إسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997، ص، 186.

[2] الونشريسي ، مصدر سابق، ج7،ص،65،66.

[3] سورة آل عمران ، الآية 85 .

فأجاب: أن أحباس الذمة تخالف أحباس المسلمين وتفارقها لوجوه يطول ذكرها، منها: أن المسلم لا رجوع له في حبسه، ولا سبيل له إلى فسخه و نقضه، وواجب على القضاة إذا انتهى إليهم تحصينه بالإشهاد عليه،و التسجيل فيه، وعلى هذا جرى أمر القضاة رحمهم الله.

و الذمي إذا حبس ثم أراد الرجوع في فعله بنقضه و بيعه وبما شاء لم يعرض له و لا يمنع منه ولا يحل للقاضي النظر في تحصينه و إنقاذه لضعفه، وإلى نحو هذا ذهب أصبغ بن الفرج، ولروايته معنى ليس هذا موضع بيانه، وقد روى عيسى عن ابن القاسم أن لأهل الذمة الصلح بيع أرض الكنيسة أن أحبوا و ذلك من أحباسهم، و إذ قد باع اليهوديان المحبسان الجنة التي حبساها فبيعها جائز نافذا ولا قيام لهما و لا للمحبس عليه على المبتاع و لا سبيل إلى الجنات، ولو قام القائم في حين نفوذ البيع ووقوعه لم يرد المبيع ولا فسخ ، فكيف وقد حبس المبتاع ما إبتاع و مضت المدة التي وصفت، وتحبيس المسلم لذلك جائزا نافذا، ويلزم القاضي إنفاذه و إمضاؤه و الحكم به، و لا يسعه غير ذلك، ولا يراعي في حبس اليهودي حيازة ولا غيرها بعد البيع ، كانت الحيازة صحيحة أو ضعيفة، وكذلك الشهادة على الخط لا يلتفت إليه فيها، ولا يسمع إقرار اليهودي في أنه حاز نصيبه منه، اذا لا منفعة، إلا أن اليهودي المقر بذلك القائم بالحبس مطالبة عامة البائعين لما حبساه عليه إن أحب ومحاكمتهما إلى حكم أهل دينهم[1].

وهناك قضية أخرى مفادها أن يهودي حبس على ابنته البكر القاصر قلعة في موضع معين ونص على ذكر حدودها، ونصف القلعة أخرى في موضع ثان وعلى من يولد له و على أعقابهم فإن لم يولد له ولد يؤول إلى ابنته وعلى أعقابها و أعقاب أعقابها، فإن انقرضوا رجع حبسا على مساكين المسلمين في مدينة لورقة، و ذكر اليهودي في وثيقة حبسه أنه يدير هذه الأحباس حتى تكتمل أبنته أهلية القبض، فأتاه شخص من ذوى السلطان ونفوذ و أجبره على بيع نصف هدا الحبس، فابتاعه منه و ظل بيده مدة، ثم قام اليهودي بطلب نقض هذا البيع .

وقضى ابن سهل بأن نقض البيع واجب ، ورده إلى الحبس واجب أيضا حتى ولم يكن فيه تحبيس لوجب نقضه أن ثبت الإكراه.

[1] الونشريسي، مصدر سابق، ج7،ص،439،438

وعلى غرار ذلك يكون الحكم فيها يتعلق بالأحباس التي تحبس على الكنائس و الأديرة قربى إلى الله، فلا يجوز للأسقف أو الراهب إخراجها عما حبست من أجله ببيعها أداء للخراج أو لسبب آخر، اذ يبطل كل تصرف من هذا القبيل وتبقى العين المحبسة للغرض الذي حبست من أجله كما هو الحال بالنسبة لأحباس المسلمين على حد السواء.[1]

[1] كمال السيد ابو مصطفى، مرجع سابق، ص189،190

الخاتمة

الخاتمـــــــــــة

وفي ختام الدراسة و وبعد أن استعرضنا في المباحث السابقة أنشطة الذميين وتنظيماتهم و أجبنا على ما ورد من تساؤلات ،فقد ألقت هذه الدراسة الضوء على أوضاع هذه المجموعة من الناحية السياسية و الإدارية والقضائية وعلاقتهم بالمسلمين في الأندلس و كيف كانت نظرة السلطات الإسلامية إليهم وهم رعاياهم تابعين لهم وفق عقد الذمة.

و توصلنا من خلال دراستنا هذه إلى عدة نتائج نلخصها في النقاط التالية:

- ❖ أهل الذمة هم معاهدون من أهل الكتاب من النصارى و اليهود وما يلحق بهم السامرة و المجوس و غير هؤلاء مشركون لا يجوز لهم عقد ذمة و لا عهد.
- ❖ الشروط الواجبة شرعا لعقد الذمة هي الالتزام بأحكام الإسلام في المعاملات المالية والعقوبات و الحدود الشرعية ، وكذا الإقرار بدفع الجزية الواجبة عليهم.
- ❖ يتم عقد الذمة بإيجاب و قبول ما بين إمام المسلمين أو- ما ينوب عنه- وبين الذمي و إذا ما صح العقد الذمي وجبت له حقوق و ترتبت عليه واجبات.
- ❖ حرص الشرع الإسلامي بالرفق على أهل الذمة و معاملتهم معاملة حسنة وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم.
- ❖ احترام الإسلام لمخالفيهم من غير المسلمين ،وكذلك ضمان كرامتهم وحقوقهم التي كفلها الإسلام.
- ❖ معاملة المسلمين لرعاياهم من النصارى و اليهود معاملة حسنة قائمة على العدل والتسامح فضمنوا لهم تنظيماتهم الإدارية حيث لم يتعرضوا لهم إلا في الأوقات الاستثنائية عقوبة لهم.
- ❖ تقريب بعض الحكام لهم بإسناد الوظائف لهم حتى وصلوا إلى مرتبة الوزارة كما حدث مع اليهود في غرناطة، واتخذوا حرسا خاصا كما حدث في المرابطين.
- ❖ تسلط اليهود وتحكّمهم في شؤون المسلمين.
- ❖ أسهم اليهود بشكل بارز في ميدان الطب ،حيث تبوؤوا الصدارة في ميدانه.
- ❖ ضم بلاط الأمويين في قرطبة عددا من الذميين الذين شغلوا مناصب رسمية للدولة أمثال: القومس ربيع بن توديلفوا الذي أولاه الأمير الربضي (180-206هـ/796-866م)فرض

الضرائب على العامة. و قومس بن أنتنيان كاتب الأمير مُحَمَّد(238-273هـ/852-886م) إضافة إلى حسداي بن اسحاق ابن شبروط الذي ولاه الخليفة عبد الرحمان الناصر(300-350هـ/912-961م)ادارة المالية.

- ❖ لعب العديد من اليهود و النصارى دورا هاما في النشاط الدبلوماسي بين العاصمة المركزية بقرطبة و بين الممالك الأخرى من خلال إرسالهم في سفارات رسمية و غير رسمية.
- ❖ احتكم الذميون في قضاياهم مع المسلمين إلى القضاء الإسلامي مما ترتب عليه ضرورة إلمام قاضي المسلمين بمعرفة عادات و تقاليد المستعربين بالأندلس.
- ❖ حوت المدن الأندلسية الكثير من أحباس الذميين التي حبست في أماكن العبادات و الأماكن الأخرى

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

*القرآن الكريم

1-ابن الأحمر إسماعيل(ت807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط،1972.

2-الإدريسي الشريف أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله (ت558هـ/116م)،نزهة المشتاق في إختراق الآفاق،ج2،عالم الكتب ،بيروت ،ط1989،1.

3-الإدريسي،صفة المغرب و أرض السودان، مطبعة بريل ،لندن،1967.

4-ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن مُحَمَّد، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ ،دار الصادر ، بيروت،1979.

5-ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تحقيق إحسان عباس ،ج1،دار الثقافة،بيروت،1997.

6-ابن بلقين عبد الله بن بلقين بن باديس (ت بعد488هـ/1095م)،مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين، مسماة بكتاب التبيان، حققه ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر.

7-البغدادي عبد القاهر بن طاهر،(ت429هـ)،الفرق بين الفرق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ،دار الجليل، بيروت،1987.

8-البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البغدادي،(ت399هـ)،فتوح البلدان،تحقيق رضوان مُحَمَّد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1983،1.

9-ابن حزم أبو مُحَمَّد بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي،(ت 456هـ/1063م)،جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط1982،5.

10-ابن حزم ،رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت،ط1987،2.

11- الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت662هـ/1228)، معجم البلدان، ج5 ،دار الصادر للطباعة و النشر،بيروت،1957م.

12-ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل البغدادي،(ت 367هـ)،صورة الأرض، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

13-ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حيان،(ت469هـ)، المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حاجي، دار الثقافة ، بيروت،1965م.

14- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله بن مُحَّد السلماني،(ت 776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي طويل ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1.

15-ابن الخطيب، أعمال الأعلام ممن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ،تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف للنشر، بيروت ،1956م.

16-ابن خلدون ولي الدين أبوزيد عبد الرحمن بن مُحَّد الخضرمي،(ت751هـ)،كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار ،ج4،دار الفكر، بيروت،2002م.

17-الخشني ابن عبد الله مُحَّد بن حارث بن أسد القيرواني الأندلسي، قضاة قرطبة و علماء افريقية ، مكتبة خانجي للنشر،قاهرة،ط1953،1م.

18-الزهري أبو عبد الله مُحَّد بن أبي بكر، كتاب الجغرافية، تحقيق مُحَّد حاج صادق،طبعة مكتبة الثقافية الدينية ،د ت.

19-الزبيدي مجد الدين أبو الفضل، تاج العروس و جواهر القاموس، ج8، دار ليبيا لنشر، د ت.

20-ابن سهل أبي الأصبع عيسى بن سهل (توفي بغرناطة سنة 486هـ/1093م)، مخطوطات الأحكام الكبرى ، تحقيق عبد الوهاب خلاف، مراجعة كامل إسماعيل،مطبعة العربية الحديثة ، ط5، القاهرة ،1982م.

21-السلفي صدر الدين أحمد بن مُحَمَّد ، أخبار وتراجم أندلسية ، مستخرجة من معجم السفر للسلفي ،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ،بيروت،ط1987،2م.

22-الشهرستاني أبو الفتح عبد الكريم (ت 548هـ)،الملل والنحل ،مكتبة المثنى،بغداد.

23-الشيخ الدردير أبو بركات أحمد بن مُحَمَّد(ت1786م)،أقرب المسالك إلى المذهب إمام مالك وشرح عليه، تحقيق مصطفى كمال، دار المعارف، القاهرة،1972م.

24-الضبي أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة،(ت 559هـ/1202م)،بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي ،1968م.

25-ابن عذاري أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق و مراجعة، ج. س كولان و ليفي بروفنسال،ج2، دار الثقافة ، بيروت، ط2 ،1400هـ/1980م.

26-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج5،دار التراث العربي، بيروت، د ت.

27-القلقشندي أحمد بن علي ،(ت821هـ)صبح العشى في صناعة الإنشا،ج1،القاهرة،ط1915،1م.

28- ابن القوطية أبو بكر مُحَمَّد بن عمر الإشبيلي (ت 367هـ/977م)،تاريخ إفتتاح الأندلس تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري،ط1410،2هـ/1989م

29-ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت 751هـ/130م)،احكام أهل الذمة،تحقيق يوسف بن أحمد ،ج1،دار ابن حزم ،بيروت، ط1997،1م.

30- الماوردي أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي ،(ت 450هـ/1058م)، الحكام السلطانية و الولايات الدينية، تحقيق سمر مصطفى، مكتبة العصرية صيدا، بيروت،2002م.

31-ابن منظورة جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب،ج1،دار إحياء التراث العربي، بيروت،1993م.

32- مجهول (من أهل القرن 4أو5هـ-11/10م)،كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بها، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989م.

33-المراكشي أبو مُحَمَّد عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي(ت بعد 621هـ/1224م)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق ج،س كولان، دار الثقافة ،ج2،بيروت،دت.

34-مالك ابن أنسأبو عبد الله الأصبحي،(ت179هـ)، الموطأ ، تحقيق بشار معروف، مؤسسة الرسالة ،ج1،بيرةت دت.

35-المقري أحمد بن مُحَمَّد التلمساني،(ت 104هـ)،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق إبراهيم الأبياري ،مطبعة لجنة التأليف للترجمة و النشر، ط1940،5م.

36-المقري،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس ،دار الصادر ،بيروت ،ج1988،4م.

37-المقريزي أبو الفتح، المغرب في ترتيب المغرب ، تحقيق مُحَمَّد الفاخوري ،مكتبة بيروت،ط1، لبنان،1999م.

38-النباهي أبو الحسن علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن الحسن المالقي ،(ت792هـ)،تاريخ قضاة الأندلس، مسماة بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق للنشر ،بيروت، ط1983،5م.

39-الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1508م)،المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى إفريقية و الأندلس و المغرب، إشراف مُحَّد حجي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، ج10،1981م.

ثانيا: المراجع

1- بالنثيا أنخل جنثاليث، تاريخ الفكر الأندلسي، تحقيق، حسن مؤنس، الهيئة المصرية العامة،2011م.

2- حتمالة مُحَّد عبده، إيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، عمان،1996م.

3- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي،عمان،1996م.

4- الخلف سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية و النصرانية، دار الأضواء السلف للنشر و التوزيع، الرياض 1997م.

5- خالدي عبد العزيز خالد يونس، اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس 92هـ/897م، دار الأرقم ، غزة ،فلسطين.

6- دوزي رينهرت، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن الحبشي،ج3، الهيئة المصرية لطباعة،1995م.

7- دندش عصمت عبد اللطيف، دراسات أندلسية في السياسة و الإجتماع ،دار الغرب الإسلامي ،ط1،2009م.

8- رجب عبد الحليم، العلاقات الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، بيروت ،د ت.

9- الزعفراني حاييم، يهود الأندلس و المغرب، ترجمة أحمد شحلان، ج1،مطبعة النجاحالجديدة، دار البيضاء، الرباط،2002م.

10-الزركلي خير الدين ، الاعلام ، دار الملايين،بيروت، لبنان،ط15،2002م

11- شحلان أحمد ،مكونات المجتمع الأندلسي، جمعية المؤرخين، الرباط،1997م.

12- عنان عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عصر الناصر ، العصر الأول القسم الثاني، مكتبة الخانجي لنشر،ط1997،4م.

13- مؤنس حسن، فجر الأندلس، دار المناهل لنشر و التوزيع،بيروت،ط2002،1م.

14- أبو مصطفى كمال السيد، بحوث في تاريخ و حضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997م.

15- عبادة كحيلة ، تاريخ النصارى في الأندلس ، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة،1993م.

16- عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1988م.

17- عبد المجيد مُحَّد بحر، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة،1980.

18- فياض عطية، فقه المعاملات المالية مع ؟أهل الذمة ،دار النشرالجامعية،مصر،ط1999،1م.

19- القادري بوتشيش إبراهيم، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، ط1،بيروت،1988م.

20- ولد آن مُحَّد أمين، أهل الذمة بالأندلس في ضل الدولة الأموية، دار الأوائل ،دمشق،2011م.

ثالثا–الرسائل الجامعية:

محي الدين صفي الدين، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس 138-483هـ/755-1090م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ و حضارة الأندلس، إشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ و علم الأثار، جامعة وهران،2008/2007م.

الفهرس

الفهرس

مقدمة 1

مقدمـــة 1

المبحث التمهيدي: 6

الأندلس في ظل الحكم الإسلامي 6

جغرافية بلاد الأندلس: 7

الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس: 8

الفئات السكانية لبلاد الأندلس: 11

المبحث الأول 16

أهل الذمة في الأندلس 16

المبحث الأول: أهل الذمة في الأندلس 17

2- أصناف أهل الذمة 21

المبحث الثاني: المعاملات الإدارية 31

1- التنظيمات الإدارية للنصارى واليهود 32

2- الوظائف السياسية للنصارى واليهود بالأندلس: 39

3- المهام الدبلوماسية التي شغلها أهل الذمة 55

المبحث الثالث 58

المعاملات القانونية الأهل الذمة 58

1- القضاء عند أهل الذمة 59

2- أحباس أهل الذمة 67

الخاتمة 71

قائمة المصادر والمراجع 74

الفهرس 82